حـــاجتنـــا إلى الموضـــوعيـــة فى الـحـكــم على تيــار الاستشــراق

د/ عبد الحافظ أحمد طه
الأستاذ المساعد - قسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعامل مع الاستشراق والمستشرقين بصورة تكون أكثر واقعية، وبرؤية أكثر موضوعية، وأوسع تعمقًا، وأشد إدراكا لإنتاجه المتنوع ومدارسه المتعددة.

فلا ينبغي التسليم بكل آراء المستشرقين على الدوام، أو الرفض المطلق على طول الخط؛ بل يجب التمييز بين الإيجابيات والسلبيات، فقد أدى بعض المستشرقين خدمات علمية للتراث الإسلامية كتحقيق المخطوطات، وترجمة بعض الكتب العربية للغات متعددة.

وبالتالي ينبغي التمييز بين فئات المستشرقين، وعدم التعميم في الأحكام، فهناك العقلاء المنصفون، وهناك المجحفون والمتعصبون، ومن هنا فلا بد أن نكون موضوعيين عند التعامل مع الاستشراق وأهله.

وهذه الموضوعية ضرورة شرعية، وأمر يفرضه الواقع والحاجة من إيجاد جسور لربط أواصر الغرب بالشرق، ولجذب وإقناع بعض الفئات المستنيرة للدخول في الإسلام.

وقد خلص البحث إلى أن المستشرقين ليسوا صنفا واحد ولا مدرسة واحدة، ولذلك يجب دراسة المستشرقين على أساس الشخصيات والأفراد، كما أن الأزهر الشريف يقف موقف الشرع والعقل من أعمال المستشرقين، حيث يتم الثناء على الإيجابيات، ونقد السلبيات.

الكلمات الدالة

الاستشراق–المستشرقون–الموضوعية–الإنصاف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على جميل إحسانه ، والشكر له على جزيل عطائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الحق ، وهو أحكم الحاكمين ، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا رسول الله ، رافع راية الحق والعدل ، صلوات ربى وتسليماته عليه وعلى آله وذريته وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ثم أما بعد ،،،

١-فإن تحديد نقطة لبدء الانطلاق مهم جدا فى البحوث الأكاديمية ، وذلك كى لا يجنح أحد بالتفكير ذات اليمين وذات الشمال ، أو أن يتشكك فى نوايا باحث جادّ أو متخصصٍ مدقق ، والهدف من بحثى هذا هو أن أوضح أننا نحتاج إلى التعامل مع الاستشراق بصورة تكون أكثر واقعية ، وبرؤية أكثر موضوعية ، وأوسع تعمقا ، وأشد إدراكا لإنتاجه المتنوع ومدارسه المتعددة ، وبروح ليست عدائية على طول الخط ، كما أنها ليست انبطاحا أمام آرائهم وترّهاتهم وشبهاتهم، دون النظر العلمى فيها ، ووضْعِها تحت محكّات الشرع والعقل والتاريخ .

٢- فلا بد من أن نميز بين أنواع متشعبة من الكتابات الاستشراقية، منها المشُوب بروح التعصب ، ومنها الخالص الذى ربما لا يشوبه كدر ، ومنها الذى كان بين ذلك قواما.

لابد من أن نميز بين فئات من المستشرقين رضى بعضهم أن لا يكون خصما للإسلام فى آرائه، وآخرون منهم أدُّوا للإسلام خدمات جليلة، يعجز بعض المسلمين أنفسهم من أن يقوموا بها.

٣-لا أريد لبنى جلدتى أن يقعوا تحت مؤثرات نفسية ، أو هواجس ومشاعر داخلية ، أو نيّات مبيّتة ، أو عصبيةٍ مقيتة ، أو أن يجعلوا سلطان العاطفة

لا العقل والشرع هو الغالب عليهم عند إبداء رأيهم فى مستشرق ما ، أو عند الحكم على مدرسة استشراقية بعينها، أو عند إبداء الحكم على تيار الاستشراق بأجمعه .

فالأناةَ الأناةَ، والجلَد الجلَد، والتعقلَ التعقلَ، حتى لا نلقىَ بتراث كالتراث الاستشراقى كلّه – قديمِه وجديدِه ، حسنِه وسيئِه، خطئِه وصوابِه، جيدِهِ ورديئِه – فى سلة واحدة ، ونخاف من هاجس آرائهم أن يخرج علينا بكرة وعشيا ، فلا بد من المنازلة والمواجهة والمكاشفة والمصارحة ، وأن يئول حق لأصحابه، إن كان لهم فيه حق، وأن يعود عليهم كفل من أخطائهم العلمية التى وقعوا فيها .

٤–لا يود الباحثُ تنزيهَ الاستشراق عن افتراءاته، ولا إثباتَ عصمةٍ للمستشرقين كاذبةٍ، ولا تمييعَ الموقف الجاد من الاستشراق الذى يدرك الجميع آثارَه السلبية الكثيرة– المباشرة وغير المباشرة – على العالم الإسلامى والشباب المسلم بوجه خاص، ولا إحجامَ الوقوف أمام شبهات الاستشراق المتهالكة المتآكلة، ولا الثناءَ المطلق على كتاباتهم، ولا إلباسَهم ثوباً ما لبسوه .

٥–لكن يجب – مع جميع ذلك – أن نقول للمصيب منهم أصبت ، وللمخطئ أخطأت ، وللمصيب أحيانا والمخطئ أحيانا نقول له : أصبتَ فى جوانب وجانبك الصواب فى جوانب أخرى . لكن أن ننكر حسناتٍ للاستشراق إن كانت له ، أو فضلا لبعض أعمالهم وجهودهم إن وُجدت ، فهذا أو ذاك لا يخدم قضيتنا ، ويهدر من قيمة الخيرية التى أولاها الله – تعالى – لأمتنا ، ويقلل من شأن معنى الوسطية التى هى من خصائص ديننا ، ويأخذ بأيدينا إلى الوقوع فى براثن الكبر الذى هو بطر الحق ورده وغمْط حقوق الناس وهضمهم حقوقهم ، كما أشار إلى ذلك رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم [١].

---

(١) عن علقمة عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال :

٦-هذا ما يدور حوله البحث ، وذلكم ما يود الباحث أن نعيه جميعا ، حتى وإن تعلل متعللٌ ، وجادل مجادلٌ ، وكابر مكابرٌ بأن شرَّهم أكثرُ من خيرهم ، وأن سيئاتِهم أحاطت بهم ، وأنهم ما قدّموا للإسلام إلا كل العداء والشقاق والشبهات والافتراءات والأكاذيب .

٧-ولقد رأيت الكُتّاب حول الاستشراق قد وقعوا بين جانبى الإفراط والتفريط ، والقليل منهم من وازن بن الآراء ، ورجّح بين الأقاويل ، وكان فى موقفه منصفا ، موضوعيّا ، وسطا ، عدلا ، لم يجنحْ ذات اليمين ولا ذات اليسار ، لم يُركز على السلبيات وتغافل عن الإيجابيات ، ولم يَحجب عن عقله التفكير المنطقى الذى هو وظيفته التى بها يُدرك الأشياء على حقيقتها ، ويضع الأمور فى نصابها الصحيح ، من خلال حكم علمى متزن رشيد ، لا تؤثر فيه عاطفة ولا هبوب عاصفة، فإذا ما انتقد كان نقده بعيدا عن الهوى ، خاليا من التعصب ، متوشحا برداء الموضوعية.

فجاءت فكرة البحث إلى ذهنى ، بأن أتتبّع من يقبل أقاويل المستشرقين على علّاتها ، وبين من يردها على كل ما فيها ويقف موقف الرافض لجميع ما قاموا به من أعمال ، وما أدوْه من مساهمات فى بناء صرح العلم ، مستقرئا أسباب ذلك ، ومنزع كل منهما ، موضحا أهمية الرؤية التعادلية الموضوعية المنصفة للاستشراق وأبرز الذين دعوا إليها ، وجاءت – بفضل الله – خطةُ البحث مكونةً من مقدمة ومبحثين، وخاتمة على النحو التالى :

- **المقدمة : وفيها ذكرت أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة العمل فيه ومنهج البحث .**

المبحث الأول : مواقف العلماء والباحثين العرب من الاستشراق وفيه

إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس). صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ١/ ٩٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، بدون رقم طبعة ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي .

ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : القبول المطلق .

المطلب الثانى : الرفض المطلق .

المطلب الثالث : التيار الموضوعى ونماذج من الباحثين الموضوعيين .

المبحث الثانى : أهمية الموضوعية في الحكم على الاستشراق وأسباب ذلك ، وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : ضرورة شرعية .

المطلب الثانى : إقرار بعض المستشرقين بالأخطاء العلمية والمنهجية في كتاباتهم.

المطلب الثالث : النقد الذاتى للاستشراق.

المطلب الرابع : إيجابيات المستشرقين.

المطلب الخامس : خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التفاهم بين الغرب والشرق .

المطلب السادس : اختلاف أصنافهم ومدارسهم وأيديولوجياتهم .

المطلب السابع : لأنه رأى أكبر مؤسسة دينية في العالم الإسلامى (الأزهر الشريف).

ثم الخاتمة وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته ومصادر البحث وفهرس لموضوعاته .

منهجى فى البحث:

١-عزوتُ الآيات إلى سورها ورقمها ، وجعلت ذلك فى الأصل حتى لا أثقّل الحواشى .

٢-خرّجتُ الأحاديث من مظانّها ، فإذا كان الحديث فى الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما ، وإن كان فى غيرهما اجتهدت فى تخريجه من مظانّه مع ذكر ما قاله العلماء فى الحكم عليه .

٣-عزوتُ النقول إلى مصادرها ، وكنت أجتهد – قدر الطاقة – فى الرجوع إلى المصادر الأصلية .

٤-التزمتُ في هوامش المصادر بذكر اسم المؤلف أولاً ثم اسم الكتاب ورقم الجزء إن وجد ، ثم ذكر اسم الصفحة، وبيانات دار النشر من جهة النشر ورقم الطبعة والتاريخ، وإن لم يوجد شيء من ذلك تمت الإشارة إليه في موضعه، مع ذكر اسم المحقق أو المترجم للكتاب إن كانت لغته غير اللغة العربية .

٥-ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم فى ثنايا البحث .

٦-اتَّبعتُ المنهج الوصفى والتحليلى والنقدى أثناء كتابة البحث .

وفى الختام هذا هو جهد المقل ، وبضاعة الضعيف ، فما كان من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ أو زلل فمنى والشيطان ، سائلا ربى أن يرزقنى الإخلاص والقبول.

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب}[آل عمران:٨]

اللهم اجعل هذا البحث في ميزان حسنات أمي وأبى يوم القيامة، وفى موازين حسناتي وكل من ساعدني بمصدر أو مرجع، وفى موازين كل من ساعد في كتابته وطبعه و إخراجه، ومن قرأه، ونظر فيه ودلني على زلة أو هفوة .

وإن تجد عيبا" فسد الخللا * فجلّ من لا عيب فيه وخلا .

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه: الفقير إلى عفو مولاه وستره، دنيا وأخرى:

عبد الحافظ أحمد طه

محمد

٨ من ذى الحجة ١٤٣٦هـ- ٢٢من

سبتمبر ٢٠١٥م .

المبحث الأول

مواقف العلماء والباحثين العرب من الاستشراق

يتناول هذا المبحث حديثا مفصلا عن وجهات نظر الكتّاب والباحثين من المسلمين وغيرهم حول الطروح الاستشراقية ، ومن الظاهرة الاستشراقية بوجه عام ، بل ومنطلقاتهم وأيديولوجياتهم نحو إصدار أحكامهم تجاهها ، والتى جاءت متباينة مختلفة ، كلّ حسب تقديره لأعمال المستشرقين ، ومعاييره التى استخدمها فى الحكم على تراثهم ، حيث إن لكل منهم منزعا ، واتجاها ومسلكا وسبيلا ، وسأحاول فحص ذلك عبر المطالب الآتية :

المطلب الأول : القبول المطلق .

المطلب الثانى : الرفض المطلق.

المطلب الثالث : التيار الموضوعى ونماذج من الباحثين الموضوعيين.

المطلب الأول : القبول المطلق:

لقد نهضت أوروبا نهضة عاتية سواء في الاقتصاد أو العلوم ، وكان من نتاج ذلك أنها فتنت عقول البعض من أبناء المسلمين الذين اعتبروا الغرب مثلهم الأعلى فى كل شئ ، فنظروا إلى الباحثين منهم (كما ينظر تلميذ إلى أستاذه ومعلمه ، يتلقى ضربته بصبر وأناة ، ويتلقى توجيهاته ودروسه بجد واجتهاد ، ثم يرددها ويستحضرها آناء الليل وأطراف النهار(١) ، ولا يبغى الحيدة والانصراف عنها إلى غيرها ، وذلك لقناعته أن أوربا تسبق الشرق نهضة وحضارة، وأنه لا بد للشرق من أن يلهث خلفها كما يلهث الكلب إلى الماء على شدة العطش.

(إن رجال هذا الموقف يؤمنون بأن الغرب يفوقنا في كل شئ ، لا في الصناعة والآلة والتنظيم والإدارة فحسب ، بل في الثقافة والحضارة كذلك ، إنهم آمنوا

---

(١) الإمام أبو الحسن الندوى ، حديث مع الغرب ص ٧ ، ٨ ، الناشر : المختار الإسلامى ، بدون رقم طبعة وتاريخ.

بغاياته وأهدافه ، وآدابه وثقافاته ، ومذاهبه الفكرية ، والأدبية والسياسية والاجتماعية) [1].

ومن ثَمّ كان لزاما برأي أصحاب هذا الاتجاه أن نتقبل كل ما يزودنا به الغرب ، وجميع ما يصلون إليه من نتائج – سليمة أو غير سليمة ، منطقية أو غير منطقية – فى أبحاثهم العلمية ، دون مراجعتها وإعادة النظر فيها سواء من خلال الشرع أو حتى العقل.

وبالتَّتبُّع والاستقراء لأسباب هذا القبول المطلق لآراء المستشرقين وبحوثهم وثقة كثير من الباحثين المسلمين فى كتبهم وأقوالهم وجدها الباحث على النحو التالى:

أولا: للتنظيم الذى يتبعونه في التبويب والتصنيف ، والإخراج ، واستيفاء التاريخ الزمنى للأحداث ، واستيعاب ظروفها ، مما يجذب كثيرا من المسلمين إلى الاستعانة بما يكتبون ، وبخاصة بدائرة المعارف الإسلامي.

ثانيا : لما راج بين المسلمين بحكم الاستعمار عن الغربيين عامة أنهم أهل حضارة وأنهم قادة في الثقافة ، والعلم ، وقد ارتبطت حضارتهم بصناعتهم : في الجودة والدقة ، فعلمهم ونتائج بحوثهم كذلك على هذا النحو في الجودة والدقة !!!.

ثالثا: إلى الفراغ في التأليف الإسلامى والعربى ، والفجوة الواسعة بين كتب الأمس وما يطلب في كتب اليوم والغد .[2]

فمن العوامل التى أثَّرت فى انسياق الطبقة المثقفة فى العالم الإسلامى مع الحضارة الغربية ، ذلك (الجمود العقلى والركود الفكرى الذى طرأ على مراكز العلوم الإسلامية وعلى علمائها من مدة طويلة ، ومن أجل ذلك عجزت هذه العلوم الحافلة بالحياة والروح ، عن إقامة برهان على صلاحيتها التى تتدفق بها ومسايرتها على الحياة المتطورة ، وذلك فى عصر كانت حاجتها فيه إلى ذلك أشد

---

(١) الإمام الندوى ، حديث مع الغرب ، ص ٧.

(٢) د / محمد البهى ، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة ص ٣١ ، مكتبة وهبة ط١ سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

وأعظم من حاجة كل عصر).[1]

رابعا : الانبهار بإسهامات المستشرقين الذين يتحدثون عن دين لا يدينون به ، ويظهر عليهم الحديث الإيجابى عنه ، ولكنه بتفسير جديد ، ويقدمون للإسلام والعروبة أجل الخدمات .

خامسا : تزعزع الثقة بالإسلام والمسلمين الأوائل في الوقت الذى لا يستطيع فيه المتأثر الانسلاخ الكامل عن الإسلام في بلد المسلمين ، فكان البحث عن تفسير جديد للإسلام يرضى عنه الغرب ويكون مقبولا عندهم .

سادسا : إنه في الوقت الذى نتقبل فيه التقنية الغربية في مجال الاتصال والمواصلات وغيرهما ينبغى أن نتقبل أيضا ما يقوله الغرب عنا وعن ما يريده لنا ، وهو على أى حال أكثر معرفة منا بأنفسنا ، إنه يملك التسهيلات والمنهج فلماذا لا يملك حصيلتهما ، أو قل إنه يملك القوة والسلطة فلماذا لا يملك المعرفة ؟.

سابعا : أيضا فإننا بذلك نوفر على أنفسنا المال والوقت . إن إنتاج أى كتاب عربى بحاجة إلى عدة سنوات من التفرغ نتيحها للباحث العربى ، وإلى أموال طائلة ننفقها عليه ، وترجمة كتاب لا تقتضى أيا من هذا . صحيح أننا قد نقع على آراء لا تسرنا ، ولكن هذا متوقع ، فنحن أمة متخلفة(٢) ، كما فى نظر طائفة منهم.

يقول الأستاذ محمود شاكر – رحمه الله [3]– : (جاءتنا هذه المطبوعات في

---

(١) أبو الحسن الندوى ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ، ص ١٩٨ ، دار القلم – الكويت ط ١ سنة ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م .

(٢) د/ على إبراهيم النملة ، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ، ص ١٨ ، ١٩ باختصار يسير ، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض – السلسلة الثانية عشرة سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

(٣) الأستاذ / محمود محمد شاكر أبو فهر الأديب المؤرخ المصري (١٣٢٧–١٤١٨هـ – ١٩٠٩ – ١٩٩٧م) أخو الشيخ أحمد محمد شاكر أبو الأشبال العلامة المحدث ، الأديب ، المحقق واللغوى البارع، لُقب بأديب الأمة ، وشيخ العربية ، وحارس التراث ، اشتُهر بفضله ودفاعه عن الدراسات الأدبية ، والفكرية ، والحياة الثقافية ، والتراث الإسلامى ، إضافة إلى مؤلفاته وتحقيقاته التى حملت بين طياتها جهودا لغوية عالية التقدير ، وكان

بلادنا على فترة جهل وإهمال ، وعلى زمن كُلّ أصحاب المال الذين ينشرون الكتب فيه ، إنما هم عامة لا يعنيهم إلا الربح من طبع الكتب حروفا قد جمع بعضها إلى بعض على غير نظام ولا تحرير ولا فن . فلما قارن بعضنا هذا بهذا ونحن عرب وهم أعاجم لا يعينهم من عربيتنا ما يجب أن يعيننا ، انبثق بثق الفتنة ، ومجّد الناس همّة هؤلاء المستشرقين الأعاجم – وحُقَّ لهم – وجعل جماعة ممن لُبِّس عليهم يدفعون القول بعد القول في تعظيمهم والمغالاة فيهم بغير الحق) .(١).

ثامنا : جهودهم فى تحقيق التراث العربى ونشره ، حيث يرى بعض الباحثين أن جهود المستشرقين في تحقيق تراثنا ونشره ، تستحق منا أن ننحنى إكبارا لهم ، وإجلالا لما فعلوا ، وأنهم وجدوا في بلادهم كثيرا من الدعم المادى والمعنوى ، لكن نحن قصرنا في حقوقهم وحفظ مكانتهم.

يقول الأستاذ / نجيب العقيقى [٢]: (ولو سعينا إلى تحقيق تراثنا وترجمته والتصنيف فيه ونشره بشتى اللغات منذ ألف عام ، وفى كل مكان لاحتجنا إلى استئجار مواهب مئات العلماء ومناهجهم ومعارفهم ودقتهم وجلدهم طول حياتهم ،

له استدراكات على أصحاب المعاجم وأهل اللغة ، ومخالفات لشرّاح الشعر القدماء ، واجتهادات لغوية فريدة ، خاض الكثير من المعارك الأدبية حول أصالة الثقافة العربية، ومصادر الشعر الجاهلي ، من آثاره : المتنبى ، أباطيل وأسمار ، برنامج طبقات فحول الشعراء ، رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، مداخل إعجاز القرآن ، وقام بتحقيق كثير من كتب التراث مثل تفسير الطبرى ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، وأسرار البلاغة للجرجانى أيضا . انظر : محاسن بنت أحمد بن محمود مولوى قربان ، آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية من ص ٩ ، ١٠، ١٨– ٢٨، متطلب تكميلى لنيل درجة الماجستير ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم اللغة والنحو والصرف سنة ١٤٢٩/١٤٣٠هـ .

(١) د/ عادل سليمان جمال ، جمهرة مقالات الأستاذ / محمود شاكر ١/ ١٢٣، مكتبة الخانجى – القاهرة بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٢) أديب لبنانى موسوعى من فضلاء النصارى ، ولد بكسروان فى لبنان وزاول الصحافة وسافر إلى مصر ، وعمل بالتدريس ، وانتقل منه إلى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وأوسع كتبه هو كتابه (المستشرقون) توفى سنة ١٩٨١م . انظر : الأستاذ أحمد العلاونة ، ذيل الأعلام ص ٢١٨ ، حرف النون ، دار المنارة ، جدة – السعودية ، ط١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

وفى ذلك من العسر علينا ما فيه ، ومن النفقات عليه ما يستنفذ طائل الثروات.أما ونحن لم نفعل ، وعرفنا الجزاء الذى لقيه ويلقاه المستشرقون في بلدانهم فكيف جزيناهم عليه ؟) .(١).

وسوف يأتى تفصيل واسع لهذا الجانب فى المبحث الثانى من هذا البحث.

تاسعا : وربما كان للمجاملة حظها الوافر في قبول كلام المستشرقين والترحيب به ونشره في الأوساط العلمية.

يقول الأستاذ الفاضل / مالك بن نبى – رحمه الله – [٢] عن ذلك : (ومن العجيب أن نذكر ما تتمتع به هذه الأفكار الحمقاء من مجاملة ، وأصدق مثال على ذلك بلا جدال ، الفرض الذى وضعه المستشرق الانجليزى (مرجليوث [٣]) عن (الشعر الجاهلى) ، فقد نشر هذا الفرض عام ١٩٢٥م ، في إحدى المجلات الاستشراقية [٤]، وفى خلال عام ١٩٢٦ م ، نشر (د/ طه حسين)[٥]

---

(١) الأستاذ / نجيب العقيقى ، المستشرقون ٣ / ١١٥٠ باختصار ، دار المعارف بمصر ، ط سنة ١٩٦٤م.

(٢)مفكر إسلامى جزائرى ، ولد في مدينة قسنطينة ، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره ، وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، يعد مالك بن نبي المفكر الجزائرى أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، ويعتبره المفكرون والباحثون امتدادا للعلامة ابن خلدون ، توفى ببلده سنة ١٩٧٣م . انظر في ترجمته : الأستاذ / خير الدين الزركلى ، الأعلام ، حرف الميم ، ٥/ ٢٦٦ ، دار العلم بيروت – لبنان ط ١٥ سنة ٢٠٠٢م .

(٣) ولد وتوفى فى لندن ، وقد تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد ، وأتقن العربية ، وكتب فيها بسلالة ، وأقام أستاذا لها فى جامعة أكسفورد منذ ١٨٨٩ م ، فعُد من أشهر أساتذتها ، ورأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الأسيوية ونشر فيها بحوثا ممتعة ، وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى فى دمشق ، والمجمع اللغوى البريطانى ، والجمعية الشرقية الألمانية ، توفى سنة ١٩٤٠م . انظر : العقيقى ، المستشرقون ٢ / ٥١٨ ، ٥٢٠ ، مصدر سابق.

(٤) هى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية التى تصدر بلندن ، عدد يوليو سنة ١٩٢٥ م ، وكان رئيسا لتحريرها ، وعنوان مقاله (أصول الشعر العربى) . انظر: د/ محمد مصطفى هدارة ، موقف مرجليوث من الشعر العربى ، ، بحث فى كتاب / مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، الجزء الأول ص ٣٩٦ ، إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مكتب التربية العربى لدول الخليج ، بدون بيانات أخرى ، ولقد ترجم هذا البحث ونشره د/ عبد الرحمن بدوى فى كتابه (دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى) ص ٨٧ ، بعنوان (نشأة الشعر العربى) ، ط دار العلم للملايين – بيروت ط١ سنة ١٩٧٩ م .

(٥) هو الدكتور طه بن حسين بن على بن سلامة ، دكتور فى الأدب ، وأحدث ضجة فى عالم الأدب العربى ، ولد فى قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا ، وأصيب بالجدرى فى الثالثة من عمره ، فكف بصره ، وبدأ

كتابه المشهور (في الشعر الجاهلى) ، فهذا التسلسل التاريخى معبر تماما عن تبعية أفكار بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للأساتذة الغربيين.

وربما لم يكن فرض (مرجليوث) [١] ليحتوى على شئ خاص غير عادى لو أنه حين نُشر لم يصادف ذلك الترحيب الحارّ من المجلات المستعربة ، حتى لقد كسب هذا الفرض قيمة (المقياس الثابت) في دراسة الدكتور (صبّاغ) عن (المجاز في القرآن) ، فقد رفض هذا الدكتور رفضا مقصودا مغرضا الاعتراف بالشعر الجاهلى بوصفه حقيقة موضوعية في تاريخ الأدب العربى) [٢].

وأحسب أن المجاملة حصلت من عمق العلاقة التى كانت بين الأساتذة من المستشرقين وطلابهم ، وما كانوا يلقونه من حفاوة وكرم وحسن معاملة حتى شُبهت بعلاقة الآباء بالأبناء ، ومن هنا وقع التأثير البالغ بينهما ، ونشير هنا إلى ما قال الدكتور طه حسين [٣] في حفل تأبين الأستاذ ليتمان[٤] بمجمع اللغة العربية : (وما أنسى فلن أنسى الأستاذ ليتمان حين لقيته في مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين ، في مؤتمر ليزج ، وكنت ألقى حديثى في هذا المؤتمر ، وإذا

حياته بالأزهر ، ، ثم التحق بالجامعة المصرية القديمة ، وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها ، وسافر إلى باريس فتخرج بالسوربون سنة ١٩١٨م ، وعاد إلى مصر ، وعين محاضرا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم عميد اللكلية ، ثم وزيرا للمعارف ، وكان رئيسا لمجمع اللغة العربية بمصر ، من مؤلفاته : (فى الشعر الجاهلى) ، و (فى الأدب الجاهلى) ، و(حديث الأربعاء) ثلاثة مجلدات ، و (على هامش السيرة) ثلاثة أجزاء ، توفى سنة ١٩٧٣م. انظر: الأستاذ / خير الدين الزركلى ، الأعلام ٣/ ٢٣١ – ٢٣٢ ، مصدر سابق .

(١) سبق ترجمته .

(٢) الأستاذ / مالك بن نبى ، الظاهرة القرآنية ، ص ٥٦ باختصار يسير ، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان . دار الفكر – دمشق – سورية ط ٤ سنة ١٩٨٧ م – إعادة سنة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م ، ترجمة د/ عبد الصبور شاهين .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) أستاذ اللغات الشرقية فى توبنجين ، وفى الجامعة المصرية عند إنشائها ، ثم فى جامعات ألمانيا ، والولايات المتحدة ، وانتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية بمصر ، وكان يكتب بالعربية كتابة أبنائها ، وتربو آثاره على ٥٥٠ بين مصنف ومحقق ومترجم وبين تراجم وفهارس ودراسات تناولت علاقة الشرق بالغرب . انظر : د / يحيى مراد ، معجم المستشرقين ص٩٦٧ ، ٩٦٨ ، بدون بيانات .

الأستاذ ليتمان– وكان رئيس الجلسة في ذلك اليوم – يبكى بكاء شديدا ، كأنه تأثر أن يرى تلميذه يتحدث بين يدى هذا الجمع من العلماء المستشرقين الذين أقبلوا إلى هذا المؤتمر في ليزج .

كانت إذن بين ليتمان وبينى هذه المودة التى تكون بين الآباء والأبناء) (١) .

ويؤكد على حسن معاملة هذا المستشرق لتلاميذه ، (الأستاذ مراد كامل) [٢]، وكان ممن تتلمذ على يديه فيقول : (وكان يغمر تلاميذه بعطف كبير ، واعتاد أن يدعو طلبته في آخر كل فصل دراسى على حفل عائلى في منزله ، وكان يقص علينا من ذكرياته الكثيرة ، أذكر وهو يتحدث عن أستاذه نولدكه [٣]، أن نولدكه كان يدعو طلبته أيضا في آخر كل فصل دراسى ، وكان يقابلهم في منزله [٤].)

---

(١) أ/ مراد كامل ، رينو ليتمان أستاذا وأبا ص ١٨٠ ، ضمن كتاب الدكتور / صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٨م ، ومن المعروف أن الدكتور / طه حسين ، والمرحوم الشيخ / على عبد الرازق كانا من تلاميذ الأستاذ ليتمان في الجامعة المصرية القديمة ، والتى كان ليتمان عميدا لكلية الآداب بها فترة من الزمن . انظر: المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٢) مراد بن كامل المصرى القبطى ، عالم باللغات الشرقية وبعض الغربية ، مولده ووفاته بالقاهرة ، كان عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر، وكان يحسن ثلاثين لغة ولهجة ، ومن آثاره : الأدب المصرى فى نظر المستشرقين ، واللغات السودانية الشرقية ، واللغة العربية لغة عالمية ، توفى سنة ١٩٧٥م . نقلا عن الموسوعة الحرة ، تاريخ الزيارة ٣٠ /١٠ / ٢٠١٥م .

(٣)مستشرق ألمانى ، ولد فى هامبورج – التى أطلقت اسمه على بعض شوارعها – ، كان أستاذا للغات السامية والتاريخ الإسلامى فى جوتنجين سنة ١٨٦١م ، وأستاذ التوراة واللغات السامية والسنسكريتية ثم الآرامية فى كيبل سنة ١٨٦٤م ، وأستاذ اللغات الشرقية فى ستراسبورج ١٨٧٢– ١٩٢٠ م ، فجعلها مركز الدراسات الشرقية فى ألمانيا ، وقد عُرف عنه تضلعه من العربية واللغات السامية والإيرانية والتركية واللحبشية والآرامية ، بالإضافة إلى إتقانه اليونانية والألمانية والفرنسية والانجليزية والأسبانية والإيطالية ، من آثاره : أصل وتركيب سور القرآن وهو منشور بعنوان تاريخ النص القرآنى ، وعاون شبرنجر فى كتابه : سيرة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وفكرة عامة عن حياة محمد ، وتاريخ الشعوب السامية . توفى ١٩٣٠م . انظر : العقيقى ، المستشرقون ١/ ٧٣٨، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، مصدر سابق .

(٤)أ/ مراد كامل ، رينو ليتمان أستاذا وأبا ص ١٨١، مصدر سابق .

وهكذا يطلعنا الأستاذ / مراد كامل على أن ليتمان ورث هذا الأمر عن أستاذه نولدكه ، فهو طابع نصح أن ننْعتَه : بالطابع العام لدى الأستاذ وتلميذه.

عاشرا : طلب الملذات الدنيوية العاجلة : يقول الدكتور رءوف شلبى – رحمه الله –[١] : عن أسباب تبعية بعض الكتّاب المسلمين لأبحاث المستشرقين المشبوهة ، إنها : (إمّا جريا وراء الشهرة والسمعة أو طلبا لمادة تجرى عليهم من مال الاستشراق ثمنا بخسا للضمير والخلق والحياء ، أو ضعفا في الدين ، وجهلا بأصوله ومنهجه وروحه).

ثم قال : (وبكل أسف فإن هؤلاء التلاميذ لهم من الشهرة العلمية البراقة ما يخدع الشباب ، ويضلل الفكر ، ويلهى العقل : فإنهم يدسون سم الاستشراق في ثقافة الإسلام باسم الدين وبأسلوب براق مخادع). [٢]

ذلكم هى أهم الأسباب التى جعلت البعض يُقبل على كتب المستشرقين بقناعة تامة ، (وإنَّ أكثر ما يلوكه المُسَبِّحُون بحمد المُسْتَشْرِقِينَ، هو الإشادة بدقَّتهم وتجرُّدهم للبحث والعلم، وقدرتهم على التمحيص والتدقيق، وأنهم قادة هذا الميدان وفرسان هذا المجال، والمستشرقون أيضاً حرصوا كُلَّ الحرص على أنْ يُضْفُوا على أنفسهم هيبة العلم وقداسة محرابه، وأنْ يُخْفُوا تحت شارته وردائه كل (أغراضهم) و (أهوائهم). وأصبحت كلمات (الأكاديمي) (البحث العلمي) (المنهج) (حرية الرأي) (قيمة العمل) (الحيدة العلمية) ... الخ.

---

(١) هو الدكتور متولى يوسف حسين ، المشهور بالدكتور رؤوف شلبى ، وكيل الأزهر الشريف ، ولد بقرية الحلوات بمحافظة الشرقية بمصر ، ودرس بمعهد الزقازيق الدينى ، والتحق بكلية أصول الدين ، ثم الماجستير والدكتوراه فى الدعوة ، ثم رئيسا لقسم الدعوة بالكلية سنة ١٩٧٥ م ، وكان أول عميد لكلية أصول الدين بالمنصورة ، وتولى عمادة كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، ثم عين وكيلا للأزهر فى ١٩٨٦ م حتى ١٩٨٩ م ، سافر إلى العديد من الدول مثل قطر ، وماليزيا وأندونيسا وغير ذلك ، وله العديد من المؤلفات التى يصل عددها إلى ثلاثين كتابا أهمها موسوعة الدعوة الإسلامية التى تضم خمسة عشر كتابا . انظر : مجلة اللواء الإسلامى ، عدد الخميس ٩ من ربيع الثانى سنة ١٤١٥هـ –١٥ من سبتمبر سنة ١٩٩٤م .

(٢) د/ رءوف شلبى ، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ، ص ١٢٨ ، دار القلم – الكويت ط ٤ سنة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

أصبحت هذه الشعارات درعاً سابغاً توارت تحته مكنونات الصدور وخفيات الضمائر وسموم الأحقاد). [١]

ولقد خُدع باسم ذلك بعضُ الكتّاب والباحثين ، ونسوق فيما يلى نماذج من أسمائهم.

نماذج من الباحثين المسلمين المتعصبين لآراء المستشرقين:

يوجد ثُلَّةٌ من الباحثين المسلمين ممن تعصبوا لآراء المستشرقين وأقوالهم وأبحاثهم ، وجعلوها هى الحجة القوية، والقول الفصل ، والرأى الآكد ، وأنها النبع الصافى لاستقاء العلم الصحيح ، وهى القبلة التى لايصح البحث إلا بالتوجه إليها، ولا ينضج فكر الباحث – فى نظرهم – إلا إذا كان الإمام فى البحث هو أحد المستشرقين الأقحاح.

وضرب لنا د/ مصطفى السباعى – رحمه الله –[٢] نماذج من الباحثين المفتونين بالمستشرقين وآرائهم قائلا : (وقد أفرط منا أناس في الثقة بهم والاعتماد عليهم والثناء المطلق على جهودهم ويُمَثِّلُ هؤلاء المعجبين بهم الأستاذ أحمد أمين [٣] في كتابيه " فجر الإسلام " و " ضُحى الإسلام " وقد بيَّنتُ ما في فصل

---

(١) د/ عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث ص ٢٧، دار الوفاء – المنصورة –مصر ط ٣سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) الدكتور / مصطفى بن حسنى السباعى ، ولد في حمص سنة ١٣٣٣هـ ، وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه حتى ما قبل الجامعة ، واستكمل دراسته بمصر ، ومن كلية الشريعة نال شهادة الدكتوراه في موضوع كتابه (السنة ومكانتها في التشريع) الذى أحرز إعجاب المشرفين والمناقشين ، وقال عنه علامة الشام الشيخ بهجة البيطار : (لو أن العمائم على مقدار العلم لكان من حق السباعى أن تملأ عمامته هذا المسجد بفضل هذا الكتاب) توفى الشيخ سنة ١٣٨٤هـ . انظر : أ / محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، ١ / ٣٧٩– ٤١١ ، دار الشواف ط٤ سنة ١٩٩٢.

(٣) الأستاذ / أحمد أمين (١٢٩٥ – ١٣٧٣ هـ) (١٨٧٨ – ١٩٥٤ م) عضو المجمع اللغوي بالقاهرة، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد ولد، وتوفي بالقاهرة،، ودرس بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم انتخب عميدا لها، ورأس لجنة التأليف والترجمة، وأصدر مجلة الثقافة، ثم شغل منصب مدير الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من مؤلفاته: فجر الإسلام، ضحى الإسلام ، ظهر الإسلام، فيض الخاطر، والنقد الأدبي. انظر: أ / عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ١/ ١٦٨، الناشر مكتبة المثنى – بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت .

«الحديث» من كتاب " فجر الإسلام " من سرقة لآراء المستشرقين دون أنْ ينسبها إليهم في كتابي الذي صدر حديثاً " السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي [١].

ومن هؤلاء أيضاً الدكتور علي حسن عبد القادر[٢] في كتابه " نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي " وهو ترجمة حرفية لما كتبه جولدتسيهر [٣] في كتابيه " دراسات إسلامية " و" العقيدة والشريعة في الإسلام " وكذلك كان غير أمين حين نسب هذه الآراء إلى نفسه ولم ينسبها إلى أساتيذه المستشرقين .

والدكتور علي حسن عبد القادر كانت لي معه قصة [٤]، وهي التي كانت سبباً

---

(١) الجدير بالذكر أن الدكتور / محمد أبو شهبة – رحمه الله – لم يصنف الأستاذ / أحمد أمين هذا التصنيف وإنما جعله ضمن البعض الذى لم ينتحل آراء المستشرقين لنفسه ، ولكنه ارتضاها وجعل من نفسه بوقا لترديدها ، وهو عنده وإن كان جارى المستشرقين في كثير مما زعموا فقد خالفهم في بعض ما حدسوا . انظر كتابه : دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين والكتّاب المعاصرين ، ص ٧ ، مجمع البحوث الإسلامية ، بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٢) عالم مفكر له اشتغال بالفلسفة ، وتخرج فى الأزهر ، ونال الدكتوراه من جامعة برلين سنة ١٩٣٩م ، ودكتوراة أخرى من جامعة لندن سنة ١٩٤٩م ، وعين أستاذا بكلية أصول الدين بالأزهر ، ثم عميدا لها ، وعمل أستاذا للشريعة بجامعة لندن ، وجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأدار المركز الإسلامى بلندن وواشنطن ، وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وهيئة كبار العلماء بالأزهر ، وكان شيخا للطريقة الشاذلية القادرية ، له : (المعتزلة) و (نظرة عامة فى الفقه الإسلامى) و (ملكية الأرض) و (أبو القاسم الجنيد ورسائله) توفى سنة ١٩٩٠ م. انظر : ذيل الأعلام ص ١٣٩، حرف العين ، مصدر سابق.

(٣)جولدتسيهر (اجنتس)(١٨٥٠ – ١٩٢١م) مجرى ، من أسرة يهودية ، وأتى القاهرة مدة اختلف فيها إلى بعض الدروس فى الأزهر ، وكان أستاذا للغات السامية فى جامعة بودابست ، ولم يكن جولدتسيهر من المعنيين بشئون الشرق المعاصر ولا بالمسائل الحية التى تضطرب فيه سواء من هذه المسائل ما هو سياسى وتشريعى ودينى وحضارى وثقافى ، وهو فى هذه الناحية يختلف اختلافا بينا عن الغالبية من كبار المستشرقين فى القرن العشرين ، من أوائل أبحاثه (الظاهرية : مذهبهم وتاريخهم) ، ومن آثاره كتاب (دراسات إسلامية) ، و (محاضرات فى الإسلام) ، و (اتجاهات تنفسير القرآن عند المسلمين) إلى غير ذلك . انظر: د/ عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ، ص١٩٧– ٢٠٣، دار العلم للملايين بيروت ط ٣ سنة ١٩٩٣م .

(٤)نذكرها هنا باختصار إتماما للفائدة ، وذلك لارتباطها بموضوعنا : يقول الدكتور/ مصطفى السباعى – رحمه الله – : (لما كنا طلابا في السَنَةِ الثانية والثالثة في كلية الشريعة، وكان ذلك عام ١٩٣٩م ، عيَّنت مشيخة الأزهر في عهد الشيخ المراغي – رَحِمَهُ اللهُ –، الدكتور علي حسن عبد القادر أستاذاً لنا يدرّس تاريخ التشريع الإسلامي، وكان قد أنهى دراسته في ألمانيا حديثاً، وهو مُجازٌ من كلية أصول الدين في قسم التاريخ، ومكث في ألمانيا أربع

في تأليفي لكتاب " السُنَّة ومكانتها في التشريع). [١].

وممن فُتن بالمستشرقين الدكتور/ عبد الرحمن بدوى [٢]، حيث قال بنفس مقولة

سنوات حتى أخذ شهادة الدكتوراه في قسم الفلسفة على ما أذكر ، وابتدأ درسه عن تاريخ السُنَّة النبوية ترجمة حرفية عن كتاب ضَخْمٍ بين يديه، علمنا فيما بعد أنه كتاب جولدتسيهر «دراسات إسلامية» وكان أستاذنا ينقل عبارته ويتبنَّاها على أنها حقيقة علميَّة، واستمر في دروسه نناقشه فيما يبدو لنا – نحن الطلاب – أنه غير صحيح، فكان يَأْبَى أنْ يخالف جولدتسيهر بشيء مِمَّا ورد في هذا الكتاب، حتى إذا وصل في دروسه إلى الحديث عن الزُهْرِي، واتِّهامه بوضع الأحاديث للأمويين، ناقشتُهُ في ذلك – بحسب معلوماتي المُجْمَلَة عن الزُهْرِي من أنه إمام في السُنَّة، وموضع ثقة العلماء جميعاً – فلم يرجع عن رأيه، مِمَّا حملني على أنْ أطلب منه ترجمة ما قاله جولدتسيهر عن الزُهْرِي تماماً، فترجمه لي في ورقتين بخط يده، وبدأت أرجع إلى المكتبات العامَّة للتحقيق في سيرة الزُهْرِي وفي حقيقة ما اتَّهَمَهُ به هذا المستشرق. فلما تجمَّعت لدي المعلومات الصحيحة، قلت لأستاذنا الدكتور عبد القادر: لقد تبيَّن لي أنَّ جولدتسيهر قد حَرَّفَ نصوص الأقدمين فيما يتعلق بالزُهْرِي، فأجابني بقوله: لا يمكن هذا؛ لأنَّ المُسْتَشْرِقِينَ – وخاصة جولدتسيهر – قوم علماء منصفون لا يحرّفون النصوص ولا الحقائق! .. عندئذٍ أزمعت على إلقاء محاضرة في الموضوع في دار جمعية الهداية الإسلامية – قرب سراي عابدين قديماً – وأرسلتْ إدارة الجمعية بطاقات الدعوة لهذه المحاضرة إلى علماء الأزهر وطلاَّبه، فاجتمع يومئذ عدد كبير منهم ما بين أساتذة وطلاب، ومن بينهم أستاذنا الدكتور عبد القادر – الذي رجوت حضوره هذه المحاضرة، وإبداء رأيه فيما أقول، فتفضل مشكوراً بالحضور، وأصغى إلى المحاضرة كلها التي كانت تدور حول ما كتبه جولدتسيهر عن الإمام الزُهْرِي، وختمتها بقولي: هذا هو ما أراه في هذا الموضوع، وهذا هو رأي علمائنا في الزُهْرِي، فإنْ كان لأستاذنا الدكتور عبد القادر مناقشة حول الموضوع إنْ لم يقتنع بما ذكرته، فأرجو أن يتفضل بالكلام، فنهض الدكتور – حَفِظَهُ اللهُ –، وقال بصوت سمعه الحاضرون جميعاً: إني أعترف بأني لم أكن أعرف من هو الزُهْرِي حتى عرفته الآن، وليس لي اعتراض على كل ما ذكرته.

وأظن أن الدكتور عدل عن رأيه السابق في المُسْتَشْرِقِينَ وخاصة جولدتسيهر، وبدَّلَ رأيه في أمانته وإخلاصه للحق وعدم تحريفه للنصوص). انظر كتابه : الاستشراق والمستشرقون ص ١٢-١٦ باختصار، دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي ، بدون رقم طبعة وتاريخ .

(١) د/ مصطفى السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ص ٩-١١ ، مصدر سابق.

(٢) د/ عبد الرحمن بدوى (١٩١٧- ٢٠٠٢ م)أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجا، إذ شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتابا تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف، ويعتبره بعض المهتمين بالفلسفة من العرب أول فيلسوف وجودي مصري، وذلك لشده تأثره ببعض الوجوديين الأوروبيين وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر، عين بعد حصوله على الدكتوراه مدرسا بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة فؤاد في أبريل ١٩٤٥ ثم صار أستاذا مساعدا في نفس القسم والكلية في يوليو سنة ١٩٤٩ م ، ترك جامعة القاهرة في ١٩٥٠م، ليقوم بإنشاء قسم الفلسفة في كلية الآداب في جامعة عين شمس، جامعة إبراهيم باشا سابقا، وفي يناير ١٩٥٩ أصبح أستاذ كرسى ، ينظر فى ترجمته : د/ سعيد اللاوندى ، د / عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام ، ط مركز الحضارة العربية – القاهرة ط ١ سنة ٢٠٠١م.

مرجليوث فى الشعر الجاهلى .[١]

ووصف بحث جولدتسيهر[٢] عن الحديث في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام بأنه (أعظم بحث كتب في الحديث) ، وأنه قدّم لنا (صورة صادقة ونظرة نافذة في تاريخ الحديث وتطوره) [٣]، ولم لا ؟ وهو عنده (سيد الباحثين في الإسلام من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة) [٤] ، وواضح تأثر د / عبد الرحمن بدوى بالمستشرقين وكتاباتهم ، وفى الحقيقة أن آراء المستشرقين (وبخاصة ماسينيون [٥] تكاد تسود كل كتابات بدوى ، فهو يميل إليه دائما وينقل عنه ، ويظهر ذلك بوضوح فى كتابه (تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى) فهو يستشهد به وينقل عنه ، ويأتى فى نفس منزلة ماسينيون[٦] فى التأثير على فيلسوفنا وربما يأتى قبله (باول كراوس) [٧] الذى كان المصدر

---

(١) انظر كتابه : دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى ص٥ وما بعدها ، مصدر سابق .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) انظر كتابه : التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية – دراسات لكبار المستشرقين ، ص ٣١٥ ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٠ م .

(٤) نفس المصدر ص ٣٠٧.

(٥) لويس ماسينيون ، ولد فى نوجان على المارن إحدى ضواحى باريس ، حصل على دبلوم الدراسات العليا فى بحث عن المغرب بعد زيارته (١٩٠٤م) ، ولما نال من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية دبلوم اللغة العربية (الفصحى والعامية) (١٩٠٦ م) ألحق بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة ، فعنى بالآثار الإسلامية ، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذا لتاريخ الفلسفة (١٩١٢–١٩١٣ م) ، وحصل على الدكتوراه برسالة عن آلام الحلاج من السوربون (١٩٢٢م) ، وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامى ، ثم مجلة الدراسات الإسلامية التى حلت محلها سنة ١٩٢٧ م ، تربو آثاره على ٦٥٠ أثرا بين مصنف ومحقق ومترجم وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة ، توفى سنة ١٩٦٢ م . انظر : العقيقى ، المستشرقون ١/ ٢٦٣ – ٢٦٨ ، مصدر سابق .

(٦) سبق ترجمته .

(٧) باول كراوس ، حصل من جامعة برلين على الدكتوراه فى العلوم الشرقية سنة ١٩٢٩م ، وعين معيدا فى معهد التاريخ للعلوم ببرلين ، فمدرسا بجامعة برلين سنة ١٩٣٣م ، وفى سنة ١٩٣٦م انتدب أستاذا للغات السامية فى الجامعة المصرية فأسهم فى تأسيس قاعة الدراسات الشرقية بمكتبتها ، وقد شهد له أعلام المستشرقين من أمثال ماسينيون ، وديمومبين ، وبيكير ، بالعمق والشمول والتفرد ، وكانوا يتوقعون له مستقبلا باهرا ، توفى

الأساسى الأول لأفكار ومشروعات وأحكام بدوى بدئا من اهتمامه بالتراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، ومرورا (بتاريخ الإلحاد فى الإسلام) ووصولا إلى أثر أفلوطين عند العرب ، يُحيل بدوى دائما إلى كتابات كراوس)[١].

وممن دافعوا عن المستشرقين بحماس ، وإذا أشاروا إلى تعصبهم أشاروا إشارة هينةً ليّنة ، المؤرخ الراحل الدكتور / حسين مؤنس [٢]، وفيما يلى نقتبسُ فقرةً تعكس النموذج الذى يمثله موقفه من المستشرقين ، يقول : (فمنذ زمن بعيد ونفر ممن لا يقرأون الكتب الغربية في لغاتها ، يُصرون على أن كلّ ما كتبه المستشرقون عنّا تحامل وعصبية ، حتى ثبت في أذهان بعض قرائهم أن كل مستشرق عدو .

وهذه فكرةٌ خاطئةٌ ، فإن الكثيرين جدا من المستشرقين منصفون ، وقد قالوا الحق كما تصوروه ...وإذا وجد المسلم في كتاباتهم ما لا يرضيه ، فليس من الضرورى أن يكون ذلك صادرا عن سوء نية ، بل هذا هو الحق كما رآه ، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن إخلاص فنحن نحترم رأيه وإن لم يرضنا).

فانظر إلى الدكتور / مؤنس كيف يهوّن من شأن مغالطاتهم ويصفها بأنها (قد لا تُرضينا) ثم يستأنف إشادته بهم فيقول (ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة ، ويكفى أننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها ، وطريق البحث العلمى الصحيح على أساس من النصوص ، ومهما كان في آرائهم مما لا يرضينا فهى آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التى قاموا ويقومون

سنة ١٩٤٤م . انظر : العقيقى ٢/ ٧٦٣ و٧٦٤ ، ٧٦٥ ، مصدر سابق .

(١) د/أحمد عبد الحليم عطية ، الصوت والصدى ، الأصول الاستشراقية فى فلسفة بدوى الاستشراقية ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٢) مؤرخ مصرى ، له عناية بتاريخ الأندلس والمغرب ، من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولد بمدينة السويس ، وتخرج فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظفر بالدكتوراه من جامعة زويرخ بسويسرة عام ١٩٤٣م ، وعاد إلى بلاده مدرسا بجامعة القاهرة ، ورأس تحرير مجلة الهلال وروايات الهلال ، ونال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٦م، ألف (فتح العرب للمغرب) و (فجر الأندلس) و (الإسلام الفاتح) توفى سنة ١٩٩٦م.انظر : ذيل الأعلام ، ص ٧٥ . حرف الحاء ، مصدر سابق.

بها).[١]

وممّن استهوته آراء المستشرقين وأفكارهم– ونادى بأن يُيمّم الباحثون جهتهم فى تحصيل العلم ، وذلك إن أردنا تقدما لبلادنا ونهضة لأوطاننا – الدكتور / طه حسين [٢] ، حيث قال : (وكيف تتصور أستاذا للأدب العربى لا يلمّ ولا ينتظر أن يلمّ بما انتهى إليه الإفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة ، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ، ولا بد من التماسه عندهم ، حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ، ونطير بأجنحتنا ، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا) .[٣]

هذا بخلاف موافقاته الواضحة لبعض آراء المستشرقين ، كما ذكرنا بعضها منذ قليل فى قضية الشعر الجاهلى ، وقوله بنفس ما قال المستشرق الانجليزى مرجليوث [٤].

ومع بالغ الأسى والحزن عندما نرى أن بعض باحثينا – ممن تابعوا بعض المستشرقين في أقوالهم الضالة حول السنة والأحاديث النبوية – قد فاق المستشرقين شطحا في الرأى ، وإفكا في القول ، ورسوخا فى الشطط .

يقول د / محمد أبو شهبة – رحمه الله [٥]– : (إن بعض الباحثين في السنة

---

(١) مجلة العربى الكويتية – العدد ٦٦ ، مايو سنة ١٩٦٤م ، نقلا عن مجلة الوعى الإسلامى – العدد ٤٣٢ ذو القعدة سنة ١٤٢١هـ– يناير / فبراير سنى ٢٠٠١م ، ص ٢٥ .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) د/ طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ص ١٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، مطبعة فاروق(محمد عبد الرحمن محمد) ط٣ ، سنة ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣ م .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) د / محمد بن محمد بن أبى شهبة أبو السادات ، علامة بالحديث وعلوم القرآن ، ولد بقرية منية جناح بمحافظة كفر الشيخ بمصر ، وتخرج فى كلية أصول الدين ، وأصبح عميدا لكلية أصول الدين بأسيوط ، أعير إلى جامعة الملك عبد العزيز بمكة واستقر بالسعودية ، له مؤلفات عديدة منها كتابه (الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير) و (أعلام المحدثين) و (المدخل لدراسة القرآن الكريم) إلى غير ذلك ، توفى سنة ١٩٨٣م انظر: ذيل الأعلام ص ١٩٨، حرف الميم ، مصدر سابق .

والأحاديث من المسلمين كدعىّ العلم محمود أبى رية [1]، قد تابعوا المستشرقين في كل ما قالوا حذو النعل بالنعل ، بل وحاولوا أن يزخرفوا كلامهم ويقربوه إلى القراء ، وأسرفوا في إلباس كلامهم ثوب الحق ، وبذلك كانوا كلابس ثوبى زور ....وفى الحق أن المستشرق اليهودى جولدتسيهر[2] ، في نقده لهذا الصحابى الجليل (أبى هريرة – رضى الله عنه – [3]) كان أعفَّ منه في النقد ، وآدبَ منه في القول ، ولم يسفّ إسفاف أبى رية) [4].

ولقد وصف الدكتور/ رءوف شلبى – رحمه الله – [5]حالة المفتونين بكتابات المستشرقين جميعها بأنها غريبة وعجيبة ، وذلك لأن بعضهم يجهر بكراهيته

---

(١) ولادته: في كفر المندره مركز أجا محافظة الدقهلية في ١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩م ، جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية ، قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة حتى وفد إلى الجيزة عام ١٩٥٧ م وبقي فيها إلى حين وفاته ، توفي في ١١ ديسمبر ١٩٧٠ م بالجيزة. أهم آثاره : عليّ وما لقيه من أصحاب الرسول ، مخطوط أضواء على السنة المحمدية طبع ثلاث مرات، (أبو هريرة شيخ المضيرة) طبع ثلاث مرات ، و السيد البدوي ، وكتاب حياة القرى ، و صيحة جمال الدين الأفغاني ، و رسائل الرافعي ، جمال الدين الأفغاني ، دين الله واحد، قصة الحديث المحمدي وغيرها. انظر: السيد مرتضى الرضوى ، مع رجال الفكر فى القاهرة ١/ ١٣٢ وما بعدها ، مؤسسة إخوان رايانه / قم المقدسة بدون بيانات أخرى .

(٢) سبق ترجمته .

(٣)اختلف في اسمه فقال أهل النسب : اسمه عمير بن عامر ، وقال ابن إسحاق : قال لي بعض أصحابنا عن أبي هريرة : كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماني رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد الرحمن ، وكنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي أبو هريرة ، ، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر قدم المدينة مهاجر وسكن الصفة ، قال البخاري روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره ، توفي أبو هريرة سنة سبع وخمسين وقال الهيثم بن عدي وأبو معشر وضمرة بن ربيعة : مات سنة ثمان وخمسين ، وقال الواقدي وأبو عبيد وغيرهما : مات سنة تسع وخمسين ، انظر : الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٤٢٥ وما بعدها ، رقم الترجمة : ١٠٦٧٤ ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

(٤) د/ محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين ، ص ٣٧٦، مكتبة السنة ط١ سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٥) سبق ترجمته .

للإسلام وببغضه لرسول الإسلام ، وبتهكمه لشرائع الدين قائلا : (إنه من الغريب حقا أن يفتتن بعض الشباب والمفكرين المسلمين بالمستشرقين مع ما يرون من كراهيتهم للإسلام ، وتعصبهم ضده . وجهلهم أو تجاهلهم من حاجات في أنفسهم .

إنهم يشككون ، ويخطئون جاهلين أو متجاهلين) (١).

لقد فتنت كتب المستشرقين كثيرا من أبناء العرب، وأوقعتهم صرعى بين يدى حضارتها المنيعة .

أخذ بألبابهم ما يرون من مدنية وتقدم وتكنولوجيا وفن، وما في كتبهم من تحقيق وكثرة مصادر وتتبع عميق للمسائل العلمية، فحسبوا أنّ العلم ما عندهم لا غير، وأنّ الحق ما يقولونه لا ما سواه.

آمنوا بكلامهم إيمانا شغلهم حتى عن التفكير المنطقى فيه ، وسحروهم سحرا حتى سلبهم اليقين في إسلامهم ودينهم ، فهم مسلمون يتوجب عليهم التسليم وعدم التشكيك .

إن إعجابَهم المتنطع وتعصبَهم المتشدد لآراء المستشرقين حجبَهم على إمعان النظر فيها ، والوقوف على ما فيها من شبهات وضلالات ، وافتراءات وأكاذيب ، ووضعها على المحكات العلمية ، والموازين الشرعية ، والمقاييس العقلية ، وبعد أن كان من المفترض فيهم أن يكونوا حائط صد لهذه الشبهات ، وباب منَعة لتلك المؤامرات ضد الإسلام – بحكم ألمعيتهم وثقافتهم ووصولهم إلى أعلى الدرجات العلمية – صاروا من المفتونين بتلك الحضارة ، والمؤيدين لما في كتب المستشرقين ، بل ويوحون إلى جمهورهم بالتبعية العمياء .

وواضح أن الصنف الذى مدح المستشرقين وأعمالهم : إنما نظر إلى الجانب الإيجابى للاستشراق من جهة كتب نشرها المستشرقون ، أو تراث حققوه ، أو

---

(١) د/ رءوف شلبى ، جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن ص ٢٨١ ، دار الطباعة المحمدية ط١ سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

مواقف منصفة لبعضهم تجاه قضايا في الإسلام ، أو ميول علمانية وانحرافات في الفكر لدى المادح نفسه .

أو كان ذلك ناتجا من بعض الجهالة في أمور الدين وتاريخ الأمة الإسلامية وتراثها العظيم ، أو حبا من المتابع في الشهرة وانبطاحه أمام شهوتها الهاوية .

المطلب الثانى : الموقف الرافض :

وهكذا تعرفنا على الاتجاه الذى يميل إلى قبول كل ما كتب المستشرقون حول الإسلام تراثا وحضارة وشريعة ولغة وأدبا ، خيرا أو شرا ، مدحا أو ذما، كما فصّلنا القول فى الأسباب الباعثة على ذلك، ونماذج من أسماء الباحثين والكتّاب المتعصبين لهذا الاتجاه.

لكن يقابل هذا الاتجاه المفرط في الثقة ببحوث المستشرقين اتجاه يحمل على المستشرقين واتجاهاتهم المغرضة المفرطة في التعصُّب، ويُمَثِّلُهُ قول أحمد فارس الشدياق [١] في كتابه " ذيل الفارياق ": (إنَّ هؤلاء الأساتيذ (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفَّلُوا عليه تطفُّلاً، وتوثَّبُوا فيه توثُّباً، ومن تَخَرَّجَ فيه بشيء فإنما تَخَرَّجَ على القسس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام، أو أدخل

---

(١) أحمد فارس الشدياق(1887-1804) ، هو أحمد فارس بن يوسف بن يعقوب بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق بن المقدم رعد بن المقدم خاطر الحصرونى المارونى من أوائل الأفذاذ الذين اضطلعوا برسالة التثقيف والتوجيه والتنوير والإصلاح في القرن التاسع عشر غير أن معظم الدراسات التي تناولته عنيت بالجانب اللغوى والأدبي وأهملت الجانب الإصلاحى ولم ينل ما ناله معاصروه من الاهتمام . بالرغم من كونه واحدا من أبرز المساهمين في مسار الأدب العربي ومن أسبقهم ، ماروني بالولادة، وتحول أكثر من مرة في أكثر من طائفة في المسيحية إلى أن استقر على الإسلام .عاش في إنجلترا ومالطة ورحل أيضا إلى فرنسا .يعد أحمد فارس الشدياق أحد أهم الإصلاحيين العرب في عهد محمد على وله منهجه الإصلاحى الخفى الذي يبدو فيه أنه فضل التورية والترميز على التصريح والإشهار وذلك لما كان يحويه منهجه من انتقادات لاذعة للقيادات الرجعية ولخوفه من أن يدان من قبلها أو تحرق أعماله ويظهر هذا في كتابه (الساق على الساق فيما هو الفارياق) والذي يعد بمثابة الرواية العربية الأولى على الإطلاق. انظر :
أ / منير البعلبكى ، معجم أعلام المورد ص ٢٥٩، إعداد الدكتور / رمزى البعلبكى ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط١ سنة ١٩٩٢م ، وموقع ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة تاريخ الزيارة ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٥ م .

أضغاث أحلام في رأسه، وتوهَّمَ أنه يعرف شيئاً وهو يجهله، وكل منهم إذا درّس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخَمَّنَ فرجَّح منه المرجوح، وفضَّل المفضول).(١)

وهكذا وصف (الشدياق) جميع كتابات المستشرقين بالتخبط والتوهم والتطفل على موائد العلماء، وأنك تراهم في الأمور المتشابهات يرجحون بحدسهم الرأى المرجوح على الراجح ، والمفضول على الفاضل ، يلوون عنق الأدلة القوية ، ويقومون بترقيع ما يشتبه عليهم بما يستحسنونه ، وذلك أثناء تحقيقهم لكتب التراث أو ترجمتها.

والسبب في ذلك – كما قال – هو : (لأنهم إنما اعتمدوا على اتصافهم بنعت مدرسين ، فاجتزأوا بالاسم عن الفعل ، وعن حقيقة ما يراد من التدريس . فإن المتصدى لهذه الرتبة الجليلة ينبغى أن يكون صادق النقل ، متثبتا في الرواية ، متخرّجا من التهافت على ترجيح ما استحسنه هو دون مراد المؤلف ...مضطلعا باللغة والنحو والصرف والأدب ، فأين هذه الصفات كلها من هؤلاء الأساتيذ) .(٢)

والشدياق هنا يعرّى المستشرقين من المنهجية العلمية التى يتغنون بها ، فيصفهم بخيانتهم لها ، لأن أبحاثهم – فى نظره – خالية من صدق النقل ، وتثبت فى الرواية ، ثم أبان لنا عن جهلهم الفاضح في أداة الفهم والدراية وهى : علوم اللغة وآدابها ، فذكر عنهم أنهم : (لا يدرون جزل الكلام من ركيكه ، وثبته من مصنوعه ، ولا المحسّنات اللفظية والمعنوية ، ولا الدقائق اللغوية ، ولا النكات

---

(١) د/ مصطفى السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ص١٦ ، مصدر سابق ، وانظر: أ/ أحمد فارس بن يوسف الشدياق ، الساق على الساق في ما هو الفارياق ، الكتاب الرابع ص ٢ ، موضوع / ذنب للكتاب و قد جعله لأغلاط الرؤوس والأساتيذ مدرّسى اللغات العربية في مدارس باريس، ط باريس سنة ١٢٧٠هـ –١٨٥٥م .

(٢) الساق على الساق ، الكتاب الرابع ، ص ٢، ٣ .

الأدبية ولا النحوية ، ولا الاصطلاحات الشعرية . فغاية ما يقال إنهم نتفوا نتفة من علوم الصرف بواسطة كتب ألفت بالفرنساوية ، فهل يسلّمون لعربى تعلّم لغتهم من كتب لغته بأنه كعلمائهم وإنهم محتاجون إلى التخرّج عنه).[١]

ولعل العلة الكبرى الكامنة الكافية وراء رد كلام المستشرقين لدى (الشدياق) هى: جهلهم بعلوم اللغة العربية ، لأنها مليئة بالأسرار التى لا يحيط بها علما إلا أهلها.

وقام الأستاذ مالك بن نبى – رحمه الله –[٢] برفض كل ما أنتجه العقل الاستشراقى ، الحسن منه والسيئ ، المحمود والمذموم ، النافع والضار ، يقول : (إن الإنتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شراً على المجتمع الاسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والاطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار ، مجتمع ما بعد الموحدين، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعاً ولكن دون هوادة، لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نسلم لغيرنا حق الإصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب.

وعلى كلٍّ فإن أمكننا أن نصرح بأننا نجد على كل وجه جانباً إيجابياً في هذا الاستشراق، فإننا لا نجده في صورة المديح، بل في صورة التفنيد) .[٣]

ووصفهم الدكتور رءوف شلبى – رحمه الله –[٤] بأنهم (أول المرضى بالأعصاب)[٥] ، و (لا يبرءون أبدا)[١] ، ووضح أن (ادعاء علماء الغرب الحيدة

---

(١) الساق على الساق ، الكتاب الرابع ، ص ٧ ، مصدر سابق.

(٢) سبق ترجمته .

(٣) مالك بن نبى ، إنتاجُ المستشرقينْ وأثَرِه في الفِكر الإسلاميّ الحَدِيث ، ص٢٥ ، : دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ، ص ١١٦ ، مصدر سابق .

العلمية في البحث ، هى دعوة إلى التجرد من الخلُق والدين واتباع هوى النفس (المرض القديم) الذى علمه السوفسطائيون في العصور الأولى بدء التاريخ الفلسفى ليسدوا منافذ الحق ، ويغلقوا طريق البحث باسم الحيدة وما هم إلا خونة العلم وقواعد البحث الأمين) [٢].

وقال بعض المفرطين في بغض كافة المستشرقين والأعمال الاستشراقية :

(جميع المستشرقين هم أعداء الإسلام) ، (الاستشراق مهنة ضد الشرق وضد الإسلام) [٣].

حتى نتاجهم العلمى ينظر إليه أصحاب هذا الفريق على أنه مشبوه ، وكان خدمةً لبلادهم الاستعمارية ، و ما يقال عن نتاجهم الإيجابى إنما هو مكرّس بالمغالطات العلمية ، محشوّ بالتحريف ، ديدنه الدس وتشويه صورة الدين الإسلامى ، وأخطاؤهم عند هذه الطائفة إنما هى أخطاء جسيمة ، عميقة ، خطيرة الأثر.

وجعل أصحاب هذا الاتجاه ثمار الاستشراق: (ثمارا فجة، وغير صالحة للتناول، ولا موثوقا بها) [٤] بل قال بعضهم : (إننا لا نجد فى كتابات المستشرقين عن الدين إلا الغمز واللمز) [٥]. ويرى الأستاذ / محمود شاكر – رحمه الله –[٦] أن عمل الاستشراق (كله منبوذا خارج حدود كل ما يمكن أن يوصف بوجه ما أنه (عمل علمى) خالص ، ومحقّر لعقله من لا يدركه ، فدع عنك من يرتضيه ؟ ومغطّى على بصره من لا يبصره ، فما ظنك بمن ينافح عنه ؟) . [٧]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٢) نفسه ، ص ١٥٨ – ١٥٩.

(٣) خيرى منصور ، الاستشراق والوعى السالب ص ٥٣ ، مكتبة مدبولى ، ط ٢ سنة ٢٠٠٥م .

(٤) د/ عبد المتعال محمد الجبرى ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى ، ص ٢٨٤ ، مكتبة وهبة ط ١سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .

(٥) السابق من نفس الموضع.

(٦) سبق ترجمته .

(٧) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٦٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٧م.

كما يُعد الاستشراق – فى نظره – من أسلحة العدو القوية الفتاكة ، وذلك بما لها من أثر سيئ على الأمة الإسلامية، يقول فى مقدمته الماتعة لكتاب (الظاهرة القرآنية) للأستاذ مالك بن نبى [(١)]: (وقد فصّل مالك في (مدخل الدراسة) محنة (العقل) الحديث في العالم الإسلامى، على يد أمضى أسلحة العدو في تهديم بعض جوانب الثقافة، بل أهم جوانبها ، وهو سلاح (الاستشراق)، سلاح لم يدرسه المسلمون بعد ، ولم يتتبعوا تاريخه ، ولم يكشفوا عن مكايده وأضاليله ، ولم يقفوا على الخفى من أسرار مكره ، ولم يستقصوا أثره في نواحى حياتهم الثقافية : بل في أكثر حياتهم الإنسانية ، كيف ؟ بل كان الأمر عكس ما كان ينبغى أن يكون ، فهم يتدارسون ما يلقيه إليهم على أنه علم يتزوده المتعلم ، وثقافة تتشربها النفوس ، ونظر تقتفيه العقول) .[(٢)]

ويتشكك الأستاذ / أنور الجندى[(٣)] في النوايا التى كتب المستشرقون بها كتبهم، فيجرّدهم من الروح العلمية الخالصة فيقول : (لقد تبيّن من الدراسات الواعية المتعددة مدى خطر الاستشراق على الفكر الإسلامي، ولم تبق إلا دعوى "الدور الذي قاموا به في تحقيق التراث الإسلامي"، ومنها تبويب بعض كتب السنة وغيرها. ولا ريب أن الاستشراق يعمل على إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام بدأها بترجمة القرآن والحديث النبوي وبعض الكتب المعروفة، والهدف هو

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) الظاهرة القرآنية ، ص ٢١، مصدر سابق .

(٣)الأستاذ / أحمد أنور سيد أحمد الجندى ، كاتب وأديب ومفكر مصرى ، ولد عام ١٩١٧ م ، بقرية ديروط التابعة لمركز أسيوط بصعيد مصر، له العديد من المصنفات مثل الحقائق العشرة في بناء منهج الإسلام في المجتمع العالمي المعاصر ، الخروج من التبعية ، الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ، وفى كتابه (شهادة العصر والتاريخ) يقول عن نفسه : (فتحت لى دعوة الإخوان المسلمين الطريق واسعا إلى الأصالة والفهم)، ومن القضايا الرئيسية التي شغلت حيزاً كبيراً من فكره، قضية تحكيم الشريعة الإسلامية، حيث كان يقول: "أنا محام في قضية الحكم بكتاب الله، ما زلت موكلاً فيها منذ بضع وأربعين سنة" ، وقال : إننى محام : للدفاع عن ميراث هذه الأمة ، إننى محام : لتصحيح المفاهيم وكشف الزيف والشبهات عن فكر الإسلام ، وقال إننى محام : للدعوة إلى الله ونشر كلمة لا إله إلا الله في العالمين . توفى سنة ٢٠٠٢ م. انظر كنابه (شهادة العصر والتاريخ خمسون عاما على طريق الدعوة الإسلامية ص ٧ ، ١١ ، دار المنارة ط ١ سنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م) .

إحكام الرد على ما في هذه من قضايا معارضة للمسيحية من ناحية أو معارضة للنفوذ الأجنبي من ناحية أخرى، والحقيقة أن هذه الأعمال لم تكن خاصة لوجه العلم) .(١)

ثم ذكر حوالى عشرين مجموعة من الحقائق: يدلل بها على حقيقة ما وصل إليه منها قوله:(المستشرقون يدرسون قضايا الإسلام (لغته وتاريخه وشريعته وتراثه) بروح غير علمية، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية، وهم لا يتصورون أي شيء إلا في حدود مفاهيمهم المسيحية اليونانية وعقليتهم الغربية التي تعودت على ربط الظواهر الإنسانية بالجنس واللغة القومية والبيئة في حدود المفهوم المادي القائم على المحسوس) .(٢)

والاستشراق لدى الإمام محمد الغزالى – رحمه الله –(٣) كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث ، وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم و التجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه (٤).

وعنده كذلك (لا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامى ، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته ، وإعطاء المعلومات

---

(١) الأستاذ أنور الجندى ، معلمة الإسلام ٢/ ١٥٣ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١ م ، بدون رقم طبعة .

(٢) معلمة الإسلام من نفس الموضع .

(٣) الإمام محمد الغزالى بن أحمد السقا ، من أكبر مفكرى الإسلام ودعاته وكتّابه فى عصره ، ومن أكبرهم فى تبيان أسباب تخلف المسلمين ، عد تجديدا للإمام الغزالى الكبير ، ولد بقرية نكلا العنب ، مركز إيتاى البارود ، واشتهر بالغزالى لأن أباه كان شديد الإعجاب بالغزالى مؤلف الإحياء ، تعلم بالأزهر وتخرج فيه ، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين ، واعتقل ، وعمل سكرتيرا لمجلتهم الدعوة ، ودرّس بكليات الشريعة وأصول الدين ، له نحو ستين مؤلفا منها : (من هنا نعلم) و (الإسلام والمناهج الاشتراكية) و (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ، وعين وكيلا لوزارة الأوقاف بمصر ، ونال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ، توفى بالرياض ودفن بالبقيع سنة ١٩٩٦م . انظر : ذيل الأعلام ص ١٩٣، حرف الميم ، مصدر سابق.

(٤) الشيخ / محمد الغزالى ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٣ ، ٤ ، طبعة نهضة مصر ط ٧ سنة ٢٠٠٥ م .

الخاطئة عنه وعن أهله ، وهم كذلك جاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى أداه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية .

إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك من هذا الخصام المتجنى ، والتفاوت – إن وجد بينهم – إنما هو في الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام ، وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه). [١]

وينظر هذا الفريق على الاستشراق على أنه علم أوروبى ، وهو صورة لما توصلت إليه أوروبا في معرفة الشرق ، وهو يعكس موقفا أوروبيا وعقلية أوروبية ، ومنطلق هذا الفريق هو قول أحد المفكرين (لمِ نضيع الوقت والمال والجهد والطاقة في سبيل ما لا جدوى منه ولا عائد ؟ وماذا يفيدنا أن نتتبع أخبار الاستشراق أو أن نترجم كتبه ، ونناقش ما فيها ، وننقدها ،ونفند ما نراه غير صحيح مما تضمه من آراء ، ونغضب فيما لا طائل منه ؟ هل كان الاستشراق غير نتاج خارجى كتبه خارجيون لا يكاد معظمهم يحسن اللغة التى نتكلم بها ؟فكيف بهم حينما يناقشون ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وتاريخنا وثقافتنا وآدابنا واقتصادنا وسياستنا ؟ إنهم بالتأكيد لن يصلوا إلى حقيقة ذات قيمة تتصل به ، وبالتالى فلا ضرر علينا إن أغضينا طرفنا عما يعملون) . (٢) وهكذا وصل الحال ببعض أصحاب هذا الاتجاه الرافض للفكر الاستشراقى إلى أنه حتى طروحاتهم لا تستحق منا نقدا ولا تفنيدا ، ولا أن نرد علي ما فيها من شبهات وضلالات .

العلاقة بين الاستشراق والتبشير :

من الأسباب الهامة – بل من أقواها– التى جعلت بعض الباحثين المسلمين ينتقدون جميع أعمال المستشرقين ، و يوصمون الاستشراق كله بوصمة الخيانة

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٨ .

(٢) د/ على إبراهيم النملة ، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ، ص ٢٢ ، مصدر سابق .

للمنهج العلمى ، العلاقة المشبوهة بين المستشرقين والمبشرين ، وبين الاستشراق والتبشير.

وأصحاب هذا الاتجاه ، يرون أن الاستشراق والتبشير وجهان لعملة واحدة ، يقول بعضهم : (إن الباحث المستقرئ لتاريخ الاستشراق والتبشير ينتهى لا *محالة* إلى القطع بأنهما وجهان لعملة واحدة ، فهما يعملان لهدف مشترك وإن تباينت الوسائل والطرق ، إنهما يبغيان محاربة الإسلام في نفوس المؤمنين) [١].

ويؤكد الدكتور / مصطفى السباعى – رحمه الله – [٢]على أن أهداف الاستشراق هى بعينها أهداف التبشير فيقول : (إن الاسْتِشْرَاقَ لون من ألوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة. وإذا كان الاسْتِشْرَاقُ نوعًا من أنواع التبشير فتعرف هدف التبشير نفسه يعطينا بالتالي صورة عن هدف الاسْتِشْرَاقِ) [٣].

وفى الحقيقة أن هذا الصنف الذى يَردُّ أعمال المستشرقين بسبب علاقاتهم المشبوهة مع المنصّرين، له وجه من الصواب لأن العلاقة بين الاستشراق والتبشير لا ينكرها من لديه أدنى مسكة من عقل ، فكثير من المستشرقين كانوا من القساوسة والرهبان ، كما اعتمد المنصرون على شبهات المستشرقين في تضليل ضعاف الإيمان من المسلمين واستقطابهم إلى النصرانية .

(وفى فرنسا جمعية اسمها (الإرسالية العلمية المغربية) مؤلفة من المستشرقين ، وأخذت هذه الجمعية تنشر في باريس مجلة كبرى تصدر في كل شهر اسمها (مجلة العالم الإسلامى) يكتب فيها كبار المستشرقين ، كالمسيو ل شاتليه [٤]

---

(١) خالد إبراهيم المحجوبى ، الاستشراق والإسلام مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية ص ١٠٧، أكاديمية الفكر الجماهيرى – بنغازى – ليبيا سنة ٢٠١٠م ، بدون رقم طبعة .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) د/ محمد البهى ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص ٦ ، الناشر: مطبعة الأزهر بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٤) كان المشرف مع ماسينيون على مجلة العالم الإسلامى بالفرنسية ، وأستاذا لعلم الاجتماع الإسلامى فى معهد فرنسا ، ومن آثاره : سلسلة دراسات فى مجلة العالم الإسلامى أشهرها : إلى أستاذ مدرسة فى مدينة الفيوم ، وأغاخان ، ومسلمو الفلبين ، ومسلمو روسيا ، والإسلام الغربى ، والسياسة الإسلامية . توفى سنة ١٩٢٦م .

رئيس تحريرها ، وهو أيضا أستاذ المسائل الاجتماعية الإسلامية في جامعات فرنسا ، وكالمسيو ماسينيون [١] وغيرهما .

ولقد كانت هذه المجلة ظاهرةً بمظهر علمى ، إلى أن تم لفرنسا احتلال المغرب أولا ثم دخلت فارس فظهرت المجلة بمظهرها الحقيقى ، فنشرت بحثا مطولا عنوانه (الغارة على العالم الإسلامى) أو) افتتاح العالم الإسلامى) [٢].

وهكذا تحولت المجلة من مجلة علمية أكاديمية أدبية إلى مجلة تبشيرية تنصيرية تحريضية ، تنادى بالتنصير في بلاد المسلمين ، وترصد تاريخه ومعالمه ومؤتمراته وسبل نجاحه ، فأبدت عن مكنون نشأتها ، وعما في صدور كتّابها من عمق بغضهم للإسلام والمسلمين .

أضف إلى ذلك دوريات متعددة لها وجهات تبشيرية ، ذكر منها الدكتور / محمد البهى – رحمه الله –[٣] على سبيل المثال لا الحصر :

١ – " مجلة العالم الإسلامي ": The Muslim World

مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية في هارتفورد بأمريكا وتوزع في جميع أنحاء العالم.

٢ – " مجلة العالم الإسلامي ": Le Monde Musulman

انظر : العقيقى ، المستشرقون ١/ ٢٢٧ ، مصدر سابق .

(١) سبق ترجمته .

(٢) ا.ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامى، ص ٥ باختصار ، المطبعة السلفية ط٤ سنة ١٣٩٨هـ ، لخصها ونقلها إلى العربية : محب الدين الخطيب – مساعد البيافى .

(٣) علم من أعلام الأزهر ، درس فى الأزهر ، ونال الدكتوراه فى الفلسفة من ألمانيا ، عين مديرا لجامعة الأزهر ، فوزيرا للأوقاف وشئون الأزهر حتى ١٩٦٤م ، تأثر بآراء الشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغانى ، وغطى بكتاباته تاريخ الفكر الإسلامى منذ نشأته حتى وقتنا الحاضر ، من مؤلفاته (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار) و (الفكر الإسلام المعاصر : مشكلات الحكم والتوجيه) و (الفكر الإسلامى المعاصر : مشكلات الأسرة والتكافل) و (التفسير الموضوعى للسور المكية) و (حياتى فى رحاب الأزهر طالبا وأستاذا ووزيرا) توفى سنة ١٩٨٢م . انظر : ذيل الأعلام ص ١٦٩، ١٧٠ ، حرف الميم ، مصدر سابق .

مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية في فرنسا توزع في جميع أنحاء العالم.[1]

ولئن انبرى صوت وذهب إلى انتهاء العلاقة بين الاستشراق والتبشير وأنها كانت فى عهود مضت، إلا أن الواقع يؤكد على أن (الارتباط الثقافي بين الاستشراق والتنصير لا يزال قائما، وسيظل كذلك ، مهما جرت المحاولات لفك هذا الارتباط ، إذ لا يزال هناك مستشرقون منصرون، وسيظل هناك منصرون مستشرقون . بل إني أرى أنه ما دام هناك تنصير فهناك استشراق، ذلك أن المنصر ، لاسيما في البلاد الإسلامية ، مضطر إلى دراسة المجتمع المستهدف للتنصير، وبالتالي فإنه مضطر إلى الرجوع إلى النتاج الاستشراقي في الدراسة والتعرف على هذه المجتمعات، ويتبع هذا إمكانية كتابته هو عن هذا المجتمع أو ذاك من وجهة نظره وانطباعاته، إما على شكل تقارير تُرفع للمعنيين بالتنصير ، أو على شكل مقالات في الدوريات التنصيرية ، أو على شكل كتب مستقلة تبين تجربة المنصِّر ، ويضمنها توصياته وآراءه لزملائه في المهمة . وكل هذا النتاج يدخل في مفهوم الاستشراق، مادام يعالج مجتمعا مسلما من شخص لا ينتمي إليه) .[2]

ومن بين الأمثلة العديدة على وجود مستشرقين من القساوسة والمبشرين ما ذكره الدكتور مصطفى السباعى– رحمه الله –[3] في زيارته لبعض جامعات أوربا يقول :

(وَزُرْتُ جامعة أدنبره «اسكتلنده» فكان المستشرق الذي يرأس الدراسات الإسلامية فيها قِسِّيساً بلباس مدني، وقد وضع لقبه الديني مع اسمه على باب

---

(١) د/ محمد البهى ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، ص ٣٠، مصدر سابق.

(٢) د/ على إبراهيم النملة ، المستشرقون والتنصير ص ٥ ط١ بدون بيانات .

(٣) سبق ترجمته .

بيته. وفي جامعة «جلاسكو» (اسكتلنده أيضاً) كان رئيس الدراسات العربية فيها قِسِّيساً عاش رئيساً للإرسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين سَنَةً حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها، وقد حَدَّثَنِي بذلك عن نفسه) [١].

والمستشرق كاله (١٨٧٥- ١٩٦٤م) [٢] أقام فى القاهرة بوصفه قسيسا ومديرا للمدرسة الألمانية [٣].

وصمويل زويمر [٤]، كان رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط، و لقد خص الدكتور/على النملة [٥]، القسم الثانى من مصنفه (المستشرقون والتنصير)[٦] بتراجم لنماذج من المستشرقين المنصرين.

---

(١) د / مصطفى السباعى ، الاستشراق والمستشرقون، ص ٦٥-٦٨ باختصار، مصدر سابق .

(٢)مستشرق ألمانى اختص بتحقيق النص العبرى للكتاب المقدس ، كان نائب قسيس فى مدينة برايلا فى رومانيا ومن سبتمبر سنى ١٩٠٣ حتى نوفمبر ١٩٠٨ م ، اهتم بتوسيع المعهد الشرقى فى جامعة بون وصار من المراكز الرئيسية للدراسات الشرقية. انظر: د/ عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ص ٤٥٢ – ٤٥٤، مصدر سابق .

(٣) د/ عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ص ٤٥٢ ، مصدر سابق .

(٤) تولى تحرير مجلة عالم الإسلام مع ماكدونلد ،وله مصنفات فى العلاقات بين المسيحية وبين الإسلام ، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية ، منها يسوع فى إحياء الغزالى ، وبلاد العرب منذ الإسلام ، الإسلام فى العالم ، وسورة الإخلاص، والإسلام فى الصحراء العربية ، توفى سنة ١٩٥٢م . انظر :العقيقى ٢/ ١٠٠٥ ، مصدر سابق .

(٥) هو الدكتور / على بن إبراهيم النملة ، من مواليد البكيرية بالقصيم ، وتخرج فى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وحصل على درجة الدكتوراه فى المكتبات والمعلومات من جامعة كيس وسترن رزرف سنة ١٤٠٤هـ ، ويعمل حاليا أستاذا مشاركا فى قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود ، وله العديد من المؤلفات والمقالات الصحفية المنشورة .انظر ترجمته فى ذيل كتابه (مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين) ، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، السلسلة الثانية عشرة سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

(٦) د/ على إبراهيم النملة ، المستشرقون والتنصير ص ٣٣-١٤٣، وجعل التراجم لهم مرتبة على حروف الهجاء ، مصدر سابق .

لكن من باب الأمانة العلمية أقول مستدركا : هل جميع المستشرقين كانوا من المنصرين ؟، أو هل جميعهم عملوا قساوسة ورهبانا وبابوات ؟ أو هل كلهم على دين النصرانية حتى يدعوا فى كتاباتهم إلى التنصير ؟

الحقيقة العلمية تقول : إن البُعد عن التعميم فى هذا المجال أفضل .

العلاقة بين الاستشراق والاستعمار:

كذلك من حيثيات الرفض الكامل للاستشراق لدى أنصاره اتهام كان أكثر صدى، وذيوعا، وانتشارا، ويمكن وصفه بالأقدمية في سوق الاتهامات الأخرى التى تعزز من رفض الاستشراق، هو (كونه الأداة المساعدة للتغلغل الاستعمارى في أرض العرب والإسلام، وإن المستشرق هو المستكشف الطليعى، الذى يسبق الاحتلال ، ويمهّد له الطريق، وإنه الحليف والمستشار التقنى، للتاجر الأوروبى والسياسى الأجنبى، إنه أحد المسئولين عن الشرور التى أصابت الشعوب الشرقية).[١]

يقول الأستاذ العقيقى [٢]:(ولما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق ، والاغتراف من تراثه ، والانتفاع بثرائه ، والتزاحم على استعماره ، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها ، فضمهم ملوكها إلى حاشياتهم أمناء أسرار وتراجمة ، وانتدبوهم للعمل في سلكى الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق) .[٣]

---

(١) د/ منذر معاليقى ، الاستشراق في الميزان ، ص ٦٩ ط المكتب الإسلامى – بيروت ط ١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، ويجب أن نذكر المنصفين من المستشرقين في هذا المجال من أمثال بلنت الذى حارب الاستعمار في الهند ومصر وإيرلندا. ، وصنف كتابا عن مستقبل الإسلام . وآخر بعنوان الاحتلال السرى لاحتلال انجلترا مصر (وقد ترجمه الأستاذ عبد القادر حمزة) انظر: العقيقى ، المستشرقون ٣ / ١١٦٠ ، مصدر سابق .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) نجيب العقيقى ، المستشرقون ١١٤٩/٣ ، مصدر سابق .

وفى ألمانيا قامت الحكومة الألمانية بإنشاء معهد في همبرج لدراسة المسائل الخاصة بالاستعمار ، ولتكوين طبقة من القادرين على إدارة شئون المستعمرات ، والخبراء بالأمم المستعمرة ، وهذا المعهد هو معهد (همبرج الاستعمارى) .[١]

نماذج من المستشرقين الذين خدموا الاستعمار :

ويستند من يرفض الاستشراق جملة على نماذج من المستشرقين الذين عملوا بالسياسة وتلوثت أيديهم بالعمل مع المستعمرين .

وإن أردنا دليلا أوضح من الشمس ليس دونها سحاب في إثبات العلاقة بين الاستشراق والاستعمار فدونك – أيها القارئ الكريم– لورانس العرب (١٨٨٨–١٩٣٥م) [٢] (المعروف بأسماء عدة مثل أمير مكة ، وملك العرب غير المتوج ، وقد لعب دورا هاما في السياسة الدولية ، وكان النموذج الحى للاستشراق البريطانى والغربى ، قدّم خدمات جليلة للاستعمار ، ويمكن اعتباره مثلا واضحا على تسخير الاستشراق للأهداف السياسية الاستعمارية ، خاصة وأن الهيئات السياسية في بريطانيا قد تعهدته منذ صغره (٣).

وقد قال عن نفسه : (لقد انتدبت للعيش مع هؤلاء العرب كغريب عاجز عن مجاراتهم في التفكير والمعتقد ، مجبرا على تدريبهم وتوجيههم في الاتجاه الذى يتفق مع مصالح بريطانيا... ، وإذا كنت قد عجزت عن تفحص شخصيتهم ، فقد نجحت على الأقل في إخفاء شخصيتى عنهم ، واستطعت أن أندمج كليا في حياتهم ، دون احتجاج أو انتقاد). (٤)

---

(١) د / عبد الرحمن بدوى ، التراث اليونانى ص ٣٠٣ ، مصدر سابق.

(٢) من أسرة كريمة ، تلقى العلم فى أكسفورد ، ورحل إلى فرنسا ، وبلغ رتبة مقدم فى الجيش ، وانضم إلى الثورة العربية ، ومن آثاره : أعمدة الحكمة السبعة ، وثورة فى الصحراء العربية ، توفى سنة ١٩٣٥م . انظر : العقيقى ، ٢ / ٥١١ ، ٥١٢، مصدر سابق .

(٣) د/ منذر معاليقى ، الاستشراق في الميزان ص ١٨١، مصدر سابق .

(٤) ت . أ . لورانس ، أعمدة الحكمة السبعة ص ١٠ ، باختصار يسير جدا ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت ط ١ سنة ١٩٦٣م .

ومن بين الأمثلة العديدة في هذا الصدد نذكر المستشرق (كارل هينريش بيكر) (ت ١٩٣٣م) [(١)] مؤسس مجلة الإسلام الألمانية ، فقد قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في إفريقيا ، أما (بارتولد) (ت ١٩٣٠م) [(٢)] مؤسس مجلة mir Islama الروسية ، فقد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى .... أما المستشرق الفرنسى المعروف ماسينيون[(٣)] فقد كان مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال إفريقيا [(٤)].

يقول الدكتور / مصطفى السباعى – رحمه الله –[(٥)] في زيارته لبعض جامعات أوربا :

(عندما زرت بعض جامعات أوربا كان أول من اجتمعت بهم هو البروفسور «أندرسون» [(٦)] رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية في معهد الدراسات الشرقية

---

(١) ولد فى أمستردام ، وعين أستاذا للغات الشرقية فى هامبورج سنة(١٩٠٨م) ، وفى بون (١٩١٣م) ، وقد اشتهر بتضلعه من التاريخ الإسلامى ، كما عنى بتاريخ مصر الإسلامى ، وأنشأ مجلة الإسلام ١٩١٠م ، واستعين به فى وزارة المعارف فاختير وزيرا لها سنة ١٩٢١م ، وأستاذا فخريا بجامعة برلين سنة ١٩٢٥م ، ومن آثاره نشر مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ، مع مقدمة بالألمانية ، ودراسة عنه بعنوان : عمر الثانى ، ومصر فى عهد الإسلام ، والنصرانية والإسلام . توفى سنة ١٩٣٣م . انظر: العقيقى ٢/ ٧٤٥و٧٤٦ ، مصدر سابق .

(٢) تخرج من جامعة بطرسبرج ١٨٩١م ، وعين أستاذا لتاريخ الشرق الأقصى فيها ١٩٠١م ، فكان أول من درس تاريخ آسيا الوسطى ، وعنى بالشرق الإسلامى ، وحقق المصادر العربية المتعلقة به ، وانتخب عضوا فى مجمع العلوم الروسى ١٩١٢م ، ورئيسا دائما للجنة المستشرقين فيه ، وتربو آثاره على الأربعمائة ، أشهرها : تركستان عند زو المغول لها وهو فى مجلدين ، وحضارة الإسلام ، وتاريخ تركستان ، توفى سنة ١٩٣٠م . انظر :العقيقى ٢/ ٩٤٣، ٩٤٤ ، مصدر سابق .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) د/ محمود حمدى زقزوق ، هموم الأمة الإسلامية ص ١٦٤، باختصار يسير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١م .

(٥) سبق ترجمته .

(٦) ومن آثاره : الشرع والفقه الإسلامى (صحيفة القانون المقارن ١٩٤٩) ، وإبطال الزواج على المذهب الحنفى

في جامعة لندن ، وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية – كما حَدَّثَنِي هو بذلك عن نفسه ثم انتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب إلى رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة «لندن».

وفي جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها يهوديّاً يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان أيضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية وهناك تعلم العربية العامية، ثم عاد إلى بلاده إنجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة أكسفورد)[١] .

بل يوجـد العديد من هــؤلاء المستشرقين ممن وضعوا كل إمكـانيـاتهم العلميـة لخـدمـة الاستعمـار، فساعـدوهم (في جعل غزوهم مشروعا ، بل كان بعض المستشرقين مشتركا اشتراكا مباشرا في مساعـدة الإدارات الاستعمارية لبلادهم)[٢].

وقد ذكرنا تلك الأمثلة السابقة من المستشرقين الذين لهم علاقات بالسياسة لكى لا يظن ظان أن تأكيدنا على العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، ليس له أدلة قوية تعضده ، أو شواهد واقعية تزكيه .

، و جريمة القتل فى الإسلام ، و الأحوال الشخصية فى القانون العراقى ، و الأحوال الشخصية للطائفة الدرزية . انظر العقيقى، المستشرقون ٢/ ٥٤٦ ، مصدر سابق .

(١) د / مصطفى السباعى ، الاستشراق والمستشرقون، ص ٦٥-٦٨ باختصار ، مصدر سابق .

(٢)آصف حسين ، صراغ الغرب مع الإسلام – استعراض للعداء التقليدى للإسلام في الغرب ص ٦٨، ترجمة : د/ مازن مطبقانى ، دار الوعى للنشر والتوزيع ط١ سنة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م .

ومن رغب فى الاستزادة فليراجع كتب المعاجم وتاريخ المستشرقين ، وكذا كتاب (مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون) [1]، ففيه معلومات قيّمة وبسط كبير لهذه الفكرة .

وقد بَيَّن أصحاب هذا الاتجاه عناصر التلاقى والأهداف والأعمال المشتركة للأجنحة الثلاثة (الاستعمار والاستشراق والتبشير) أنها كالتالى :

١-الالتقاء على الكراهية والحقد .

٢-الالتقاء على كسب المغانم .

٣-الالتقاء على محاربة الإسلام وتطبيقاته .

٤-محاولة الفصل الكلى بين الإسلام والمسلمين .

٥-محاولة الفصل الجزئى بين الإسلام والمسلمين .[2]

وأصحاب هذا الاتجاه يؤكدون على أن (الاستشراق كان – ولا يزال- يشكل الجذور الحقيقية ، التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار ، والعمالة الثقافية ،ويغذى عملية الصراع الفكرى ، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى ، وإخضاع شعوبه) [3] .

ولله درُّ الأستاذ / محمود شاكر – رحمه الله – [4] عندما لخَّص العلاقة بين الاستشراق والاستعمار في قوله : (الاستشراق عين الاستعمار ، التى بها يبصر

---

(١) للأستاذ /نذير حمدان ، الناشر: مكتبة الصديق- الطائف- المملكة العربية السعودية ، ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م .

(٢) د/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ص ١٨٧ ، وبالتفصيل حتى ص ٢٠٠ ، دار القلم – دمشق ط٨ سنة ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

(٣) د/ أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامى ص ٥٧، الدرار المصرية اللبنانية ط ١ سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

(٤) سبق ترجمته .

ويحدق ، ويده التى بها يحس ويبطش ، ورجله التى بها يمشى ويتوغل، وعقله الذى به يفكر ويستبين ، ولولاه لظل في عميائه يتخبط)[١].

يتصور الرافضون للنتاج الاستشراقى كله أنه (خطة استعمارية لإيجاد فرع معرفى جديد لتفسير الإسلام ، فإذا أمكن من خلال هذا التفسير إثارة الشكوك ، وزيادة درجة القضايا الجدلية في عقول المسلمين ، فعندئذ لن تضعف هذه التقسيمات من الالتزام بالإسلام فحسب ، ولكنها ستجعل المستعمر قادرا على السيطرة على البلاد الإسلامية دون خوف من تهديد الإسلام) .[٢]

وواضح أن الصنف الذى قدح في المستشرقين : إنما نظر إلى أهدافهم السيئة في محاربة الإسلام ، ونواياهم الخبيثة التى تظهر في البحث والتصنيف ، نظر إلى السم الزعاف في مصنفاتهم وأبحاثهم ، وخدمتهم لأهداف الصهيونية والتنصير والاستعمار.

كذلك إلى جهلهم بأصول اللغة العربية وعلومها وآدابها، فهم بهذا يفتقدون إلى أداة الفهم، ومفتاح الدراية، وكذا تاريخهم المهين في العداء السافر للإسلام وأهله ، حتى صار هذا العداء ، وتلك الكراهية شيئا ثابتا في فكر الغربى تجاه المسلمين.

ولم لا ؟ وقد قاموا باستعمار بلاد المسلمين ؟

ولمّا عجزوا عن الغزو العسكرى استبدلوه بالغزو الفكرى ، وقد نجحوا في مراحل كبيرة منه ، عندما جعلوا أناسا من بنى جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، ويستقبلون قبلتنا، ينهجون نهجهم في الفكر والرأى .

ولا يشك الباحث في النوايا الطيبة ، والغيرة على الدين، لدى أصحاب هذا

---

(١)الأستاذ / محمود محمد شاكر ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ١١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٧م.

(٢)آصف حسين ، صراغ الغرب مع الإسلام ص ٨٠ ، مصدر سابق.

الاتجاه ، حيث بدر ذلك الموقف منهم حبا لدينهم ، وخوفا عليه من شبهات المستشرقين ، وضلالات المتشككين، وأن تنطلى أبحاثهم على قليلى الثقافة الإسلامية من المسلمين فيتأثرون بفكرهم ، وتستهويهم تلك الشبهات ، فتنتقض عرى هذا الدين ، وتضيع في ركام ذلك الهوية الإسلامية .

لكن – على الرغم من ذلك أجمعه – فإنه لا يخفى ما فى ألفاظ التعميم وصيغ الإطلاق – التى وسم بها بعض كتّابنا أبحاث المستشرقين ودراساتهم نحو الإسلام – من المغالطات وعدم الدقة في إصدار الأحكام على تراث كتراث الاستشراق ، وعلى ظاهرة كالظاهرة الاستشراقية ، ولن يشفع لأصحاب هذا الاتجاه ما يتكئون عليه من وجود بعض الأغاليط العلمية في كتب المستشرقين ، أو أن بعضهم كان له علاقات بالتبشير أو بالسياسة .

كذلك فيه إغفال كبير للجوانب الإيجابية لبعض المستشرقين تجاه تراث الإسلام ونشر مخطوطاته ، ومواقف مشهودة نحو إنصاف حضارته ، وهذا أو ذاك وغيره ، لا يقدر منصف على جحده ، ولا أن يغض طرفه عنها ، وإلا صار كمن يريد نكران نور الشمس ليس دونها سحاب ، أو يكذب نور القمر ليلة أربع عشرة.

المطلب الثالث : التيار الموضوعى:

وفي الحق أنَّ كلا الصنفين مخطئ في رأيه ، فمن قام بالثناء المتكرر والإطراء المبالغ فيه، كان – كما أسلفنا – بسبب نظرته للجانب الإيجابى للمستشرقين ، لكنه غفل ما قام به كثير منهم من عداوة معلنة وحرب شرسة ضد الإسلام ومبادئه.

ومن قام بذمهم والكلام الفاحش عليهم ورد كل طروحاتهم ، غفل الجانب الإيجابى لبعضهم تجاه نشر التراث ، أو مواقف المنصفين منهم من الثناء على الإسلام وحضارته.

يقول الإمام أبو الحسن الندوى – رحمه الله–[١] : (لا يستطيع أحد رُزق ذرة من الإنصاف وحب العلم أن ينكر روحهم العلمية، وتحملهم للمشاق، وتفانيهم في مهمتهم ، ودقة نظرهم، وأسلوبهم العلمى) .[٢]

وكان الإمام/ أبو الحسن الندوى – رحمه الله – غاية فى الموضوعية عند الحكم على أعمال المستشرقين ، فإنه بعد أن ذكر العوامل الرئيسة فى نشأة الاستشراق كالعامل الدينى والاقتصادى والسياسى ، راح – رحمه الله – يقول معترفا : (غير أن عددا من المثقفين يتبنون موضوع الشرقيات والإسلاميات دون تأثير هذه العوامل ، وبمجرد ذوقهم وشغفهم ويبذلون فيه جهودا ضخمة ، ويكون من المكابرة والتقصير ألا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها ، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التى لم تر الشمس منذ قرون ، إلى النشر والإذاعة ، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين ، وعاهة الأرضة ، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة ، بفضل جهودهم ، وقرّت بها عيون العلماء فى الشرق والغرب) .[٣]

وهذا هو الدكتور ساسى الحاج على الرغم من تأليفه كتابه المتميز فى الاستشراق المُكوّن من جزءين ، والذى حمل عنوان (نقد الخطاب الاستشراقى) إلا أنه كان موضوعيا فى موقفه ، عدلا فى الحكم على إنتاج المستشرقين الذى

---

(١)الإمام / علي أبو الحسن بن العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني أحد كبار مؤلفى عصره ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية ، من أسرة شارك رجالها في الجهاد ونال الكثير منهم شرف الشهادة في سبيل الله ، ونبغ من هذه الأسرة عدد من الدعاة والعلماء من أشهرهم الإمام (أحمد بن عرفان الشهيد) قائد كبرى حركات الجهاد والإصلاح فى الهند ، وكان أبو الحسن الندوى عضوا مراسلا فى مجمعى اللغة العربية بدمشق والقاهرة ، وهو مؤسس المجمع العلمى الإسلامى بالهند ورئيسه ، والشيخ أحد رؤساء التحرير لمجلة (معارف) تلك المجلة العلمية الأكاديمية للمسلمين فى شبه القارة الهندية ، وله فوق العشرين مصنفا . انظر فى ترجمته : أ / محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ١/١٣٥ – ١٥٤ ، دار الشواف ط٤ سنة ١٩٩٢.

(٢) حديث مع الغرب ص ١٩ ، مصدر سابق .

(٣) أبو الحسن الندوى ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ١٨٨ ، ١٨٩، مصدر سابق .

انتقده فى كتابه ، فقال فى المقدمة : (إن الدراسات الاستشراقية ، وإن كانت قد تعددت أغراضها ، وتباينت مراميها وأهدافها ، إلا أنها لم تكن أبدا خالية من الفائدة العلمية التى لا مناص لنا من الاعتراف بها . فالمستشرقون قاموا بجمع المخطوطات العربية والإسلامية والشرقية وفهرستها ، وحققوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها ، ونشروها نشرا علميا خالصا ، وترجموا الآلاف من هذا التراث إلى اللغات العالمية ، وعرّفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا ومآثرنا وما كنا فيه من مجد وسؤدد .

ومن هنا فإن هذه الدراسات الاستشراقية تستحق منا الاطلاع عليها ودراستها ، لأن من أخص خصائص المثقف الحر الواعى الاطلاع على هذه الأفكار حتى يستوعبها أولا ، ثم يستفيد منها إن كانت موضوعية ثانيا ، وإلا فإنه ينبرى للرد عليها إن كانت مجافية للحقيقة ثالثا). [(١)]

وكان صادقا مع نفسه فى دراسته أنه سوف يلتزم المنهج الوسطى فى نقده للمستشرقين فيقول : (إننا سوف لا نتناول هذه الدراسة بالثناء المطلق ، ولا بالتحامل المطلق ، ولكننا سوف نخضعها لمعايير البحث العلمى الصارمة فنعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، لأننا قوم يأمرهم دينهم وأخلاقهم بالعدل حتى مع غرمائهم ، فلا يكون الثناء على ما قدمه هؤلاء الناس من أعمال جليلة ، وما تطرقوا إليه من أبحاث قيّمة حاجبا لنا عن تلك الدراسات والتى يجب علينا الرد عليها وتفنيدها بروح علمية محايدة ، خالية من كل غرض وهوى) [(٢)].

ومن المبرزين من الموضوعيين فى الحكم على أعمال المستشرقين ، الدكتور عثمان التويجرى – المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم

---

(١) د / ساسى سالم الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقى – الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، ١/ ٩ ، دار المدار الإسلامى – بيروت – لبنان ط ١سنة ٢٠٠٢م .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠ .

والثقافة[١]– حيث يقول فى مقدمته لكتاب الاستشراق للدكتور محمد فاروق النبهان [٢] : (الأمانة العلمية تقتضى منا أن ننصف طائفة من هؤلاء المستعربين والمستشرقين ، فهم ليسوا سواء ، ففيهم المنصف الأمين النزيه الذى يظهر من أعماله التى نشرها أنه مخلص فى خدمته للعلم وللإنسانية ، وفيهم المغرض الكذوب الذى لا نصيب له من الصدق والنزاهة والإخلاص للعلم ، وفيهم أيضا ، من جمع بين الحالتين ، فكان فى بعض من آثاره مفيدا ومنصفا ، وفى بعض آخر متطاولا مسيئا مجانبا للصواب) .[٣]

ورغب الدكتور / الطيباوى – رحمه الله – [٤] أن يكون موضوعيا في حكمه

---

(١) الدكتور / عبد العزيز بن عثمان التويجري مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ولد في الرياض بالمملكة العربية السعودية، في ١٩٥٠ م ، وهو أستاذ مساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود (١٩٨٢– ١٩٨٥م) ،عضو مراسل لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وعضو مجلس الأمناء فى جامعات عديدة منها الجامعة الإسلامية فى النيجر، والجامعة الإسلامية فى أوغندا ، والجامعة الإسلامية فى باكستان ، والجامعة الإسلامية فى بنغلاديش ، وحصل على أوسمة رفيعة من دول كثيرة ، كما حصل على درجات أكاديمية من جامعات متعددة ، وله العديد من المؤلفات . انظر: ويكيبديا ، الموسوعة الحرة ، تاريخ الزيارة ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٥م .

(٢) ولد ونشأ في مدينة حلب عام ١٩٤٠، توفيت والدته وهو دون سن التمييز فنشأ في حجر جده الإمام المجدد محمد النبهان –طيب الله ثراه– وفي بيته وبين أفراد أسرته وكان قريبا منه ولم يفارقه حتى الثامنة عشرة حين التحق بجامعة دمشق فكان يذهب إلى دمشق ويرجع إلى جده فى حلب ، ومن أبرز أساتذته الدكتور مصطفى الزرقا ، والدكتور مصطفى السباعي ، حصل على الماجستير من جامعة القاهرة ، كلية الآداب، وذلك عام ١٩٦٥ ، وحصل على الشهادة العالمية الدكتوراه من جامعة القاهرة – كلية دار العلوم ، وذلك عام ١٩٦٨، وهو عضو في الأكاديمية الملكية المغربية من عام ١٩٨٤ ومازال إلى الآن. انظر: الموقع الرسمى للدكتور / محمد فاروق النبهان ، على موقع الشبكة العنكبوتية ، تاريخ الزيارة ٢٥/ ١٠ / ٢٠١٥م .

(٣) د/ محمد فاروق النبهان ، الاستشراق ، تعريفه ، مدارسه ، آثاره ، ص ٦، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . ايسيسكو ، الرباط – المملكة المغربية ، سنة ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

(٤) التربوى والتاريخى والأديب ، كان يسميه زملاؤه وطلابه : الأستاذ ، ولد فى سنة ١٩١٠ م بقرية طيبة بنى صعب فى فلسطين ، وتولى فى انجلترا مناصب تعليمية عديدة ، وشارك فى رئاسة تحرير مجلة (المستمع العربى) التى تصدرها الإذاعة البريطانية (القسم العربى) ، ومنحته جامعة لندن أعلى درجة أكاديمية لديها ، لكن لم تفتح له السبل إلى كرسى الأستاذية ، من أثاره : النفوذ الثقافى الروسى فى سوريا وفلسطين فى القرن التاسع عشر ، وكتاب تاريخ سوريا : بما فيها لبنان وفلسطين ، وكتاب التعليم الإسلامى ، وكتاب العلاقات الانجليزية العربية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٢م ، توفى على أثر حادث سيارة فى لندن سنة

على المستشرقين الناطقين بالانجليزية ، وذلك في دراسته القيّمة التى أعدها عنهم ، وظهرت موضعيته باستعماله ألفاظ (فى الغالب – القليل منهم – عدد كبير منهم – أكثرهم) فيقول : (إن تدريب المستشرقين الانجليز من اليهود والنصارى كان في الغالب إنجيليا ولاهوتيا أو كان لغويا – وكان القليل منهم – فيما لو حدث ذلك لأحدهم– قد اكتسب مرانا مناسبا في علم التاريخ أو قد تمرس في أصول ومناهج البحث العلمى وأساليب البحث التاريخى المنهجى حتى يتصدى للكتابة ، فإن اتجاه عدد كبير منهم لدراسة الإسلام إنما كان نتيجة إقامة طارئة أو عمل تنصيرى أو خدمة عسكرية في بيئة إسلامية ، ومع ذلك فإن أكثرهم لم تكبح جماحه هذه الحدود الضيقة في المعرفة بل انحرف عن موضوعات اختصاصه ليشغل نفسه بالكتابة عن تاريخ الإسلام فيصدر أحكاما سيئة على الإسلام وعلى كتابه المقدس وعلى نبى الإسلام.

إن الكثير من هذه الكتابات التى سارت على هذا المنوال إنما كانت سطحية المحتوى وتخمينية الفحوى ، مدفوعة في الأغلب بآراء مسبقة وأفكار متصورة سبق أن اعتقدها الكاتب حول: ماذا يجب أن يكون الإسلام ؟وهذه الآراء المعتقدة مسبقا إنما هى نابعة من نتائج مستندة على مقارنات خادعة مضللة). (١).

أمّا الدكتور / أبو شهبة – رحمه الله –[٢] فإنه كان واضحا في موقفه من الاستشراق بميوله نحو الموضوعية في الرأى ، والعدل في إصدار الحكم . يقول : (إن بعض المستشرقين كانت لهم في دراساتهم للسنة والأحاديث أعمال مذكورة غير منكورة ومشكورة غير مجحودة ، وذلك بإحيائهم بعض الكتب الحديثية ،

١٩٨١م . انظر : ترجمته كاملة فى مقدمة كتابه المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية دراسة نقدية ، من ص ١٢ –١٦ ، ترجمة وتعليق د/ قاسم السامرائى ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمى ، سنة ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

(١) د/عبد اللطيف الطيباوى ، المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية دراسة نقدية ، ص ٨٨ ، ترجمة وتعليق د/ قاسم السامرائى .

(٢) سبق ترجمته .

وتأليفهم بعض الكتب التى قربت إلى الباحثين والدارسين الوقوف على الأحاديث في مظانّها ومواضعها ، وذلك مثل ما صنع (فنسنك) [١] في (مفتاح كنوز السنة) ، وكما فعل جماعة من المستشرقين بتأليفهم كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى) وهذا يدل على تقديرنا للأعمال النافعة ، وإنا لا نكره المستشرقين كافة ، ولا نمدحهم بعامة ، وإنما نقول للمحسن : أحسنت ، وللمسئ : أسأت ، ولمن أحسن في مكان ، وأساء في آخر : لقد خلطت عملا صالحا وآخر سيئا) [٢].

وكان الدكتور / مصطفى السباعى – رحمه الله – [٣] في غاية الموضوعية عندما قال : (لئن كان فريق من العلماء المنصفين قد غزا هذا الوسط (التبشيرى المتعصب) فعنى بالدراسات العربية والإسلامية في جو يتّسم أكثره بالإنصاف ، إلا أنه لا يزال – حتى اليوم – أكثر الذين يشتغلون منهم بهذه الدراسات الذين يعنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله ، أو من رجال الاستعمار الذين يعنون بلبلة بلاد الإسلام في ثقافتها ، وتشويه حضارتها في أذهان المسلمين [٤].

ويخرج الأستاذ / زكريا هاشم زكريا ، من إشكالية التعميم باستعمال لفظة (نفرا منهم) لكى يكون موضوعيا فى رأيه وحكمه فيقول : (فلا شك في أن نفرا

---

(١) مستشرق هولندى ، أتقن اللغات السامية ، وتخصص فى أديان الشرق فذهب له فيها صيت بعيد ، وانتدب أستاذا للعبرية فى جامعة ليدن ، ثم خلف سنوك – هرجرونجة فى كرسى العربية ، وعنى بالحديث وسعى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظه من أمهات مصنفاته ، فانضم إليه لفيف من المستشرقين العالميين وباشروه ، وتولى تحرير دائرة المعارف الإسلامية بلغاتها الثلاث ، وقام برحلات إلى مصر وسوريا ولبنان وكان يوقع بالعربية ونسنك ، ومن آثاره : موقف الرسول من يهود المدينة ، وهى رسالته فى الدكتوراه ، ومحمد واليهود ، والإسرائيليات فى الإسلام ، ومحمد والنبوة ، ومفتاح كنوز السنة ،والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن الكتب الستة ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، توفى سنة ١٩٣٩م . انظر : العقيقى ٢/ ٦٦٧، ٦٦٨، مصدر سابق .

(٢) دفاع عن السنة ص ٣٧٥، مصدر سابق .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ص ١٨٨ ، المكتب الإسلامى – بيروت ط ٢ سنة ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م.

منهم لم يكونوا دائما معصومين عن الخطأ ، ولا مجردين عن التحيز ، وربما كان سبب ذلك تأثير السياسة والمحيط على تفكيرهم ، أو عدم اطلاعهم الكافى على اللغة العربية والمصادر الأصلية (١)

ويستعمل الدكتور / محمود حمدى زقزوق — وزير الأوقاف المصرى الأسبق – حفظه الله – لفظة (معظم) لئلا يقع في إشكالية تعميم الأحكام فيقول : (يفتقد المرء الموضوعية في كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامى ، في حين أنهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية والهندوكية وغيرها يكونون موضوعيين في عرضهم لها[٢].

كما استعمل أحيانا أخرى لفظة (نفر قليل ، والجمهرة الغالبة) فيقول : (من المُسْتَشْرِقِينَ نفر قليل جِدًّا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمَّدون الدَسَّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمى السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المُسْتَشْرِقِينَ، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته) [٣].

وعندما تحدّث الدكتور/عبد الرحمن على الحجّى [٤]عن نظرة المستشرقين للتاريخ الإسلامى قال:(فنظرتهم في كثير من الأحيان مجانبة للواقع، وكثير منهم

---

(١) زكريا هاشم زكريا ، المستشرقون والإسلام ص ٥٩٥ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الكتاب العشرون سنة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥ م .

(٢) هموم الأمة الإسلامية ص ١٦٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١م .

(٣)الإسلام في تصورات الغرب ص ٢٤ مكتبة وهبة ط١ سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٤) الدكتور / عبد الرحمن علي الحجي :أستاذ التاريخ الإسلامي والأندلسي و حضارته في العديد من الجامعات، عضو الطاقم المؤسس لجامعة الإمارات العربية المتحدة و عميد أسبق لكلية العلوم الإنسانية بها ، ليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة – دكتوراه في العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية من جامعة كيمبردج في بريطانيا عام ١٩٦٦ ، تولي تأليف الكتب المقررة في التاريخ والحضارة للأول والثاني الإعدادي في دولة الإمارات العربية المتحدة، مؤلفاً ومشرفاً .
انظر: موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة تاريخ الزيارة ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٥م .

لا يفهمون طبيعة هذه العقيدة فيخطئون في فهم تطبيقاتها، وحتى لو صح أنهم قد يفهمون إنتاجها الفكرى والحضارى ويعترفون به، فهم قد نشأوا في بيئة أخرى لها معتقداتها، وإيحاءاتها ومفاهيمها، أورثت بعضا منهم تعصبا، وربما أوقفت البعض الآخر عن محاولة الكشف عن الحقيقة المحجوبة، ثم هم لا يؤمنون بالإسلام ولا يعترفون به ولا بما ينتج عنه، فنحن وإياهم مختلفون ليس فكرا أوثقافة، بل أيضا ولاء ومنطلقا من الأساس ... والقليل من المستشرقين ، الذى أفلت – كليا أو جزئيا – من تلك المؤثرات وتخلص من موروثاته وأجوائه العلمية المشوبة التى توارثها وتواترها ، نراه يعظم الإسلام).[١]

وبعد أن فنّد الأستاذ / عبد الخالق سيد أبو رابية ، شبهات المستشرقين حول عقيدة التوحيد والقدر والزواج والطلاق وغير ذلك قام بإبداء تساؤل حول الرأى في الاستشراق قائلا : (هل كان الاستشراق شرا على الإسلام وأهله ؟ هل يليق بنا أن نذكر سيئات المستشرقين ونتغاضى عن محامدهم وحسناتهم ؟ وهل نبرر فقط ما في أبحاثهم من كبوات وأخطاء ونهمل عامدين ما فيها من محاسن وحقائق ؟).

ثم قال : (لا ريب في أن الكثير من المستشرقين قاموا بأعمال جليلة حمدها لهم الناس وسجلتها لهم صفحات التاريخ) .[٢]

ولهذا أحسن الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى – رحمه الله – [٣]وناله من الله

---

(١) د / عبد الرحمن على الحجى ، نظرات في دراسة التاريخ الإسلامى ص ١٣ ، ١٤- باختصار يسير ، دار الاعتصام ط ٢ سنة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

(٢) عبد الخالق سيد أبو رابية ، في جولة مع المستشرقين ص ١٣٧، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية – العدد ١٧٩، سنة ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م.

(٣) ولد الدكتور محمد إبراهيم الفيومي سنة ١٩٣٨م، في قرية أوليلة مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية. التحق بالتعليم الأولي وكتَّاب القرية حتى حفظ القرآن الكريم وفي سنة ١٩٥١م التحق بمعهد الزقازيق الديني إلى أن حصل على الشهادة الثانوية في ١٩٥٩ – ١٩٦٠م. والتحق بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر إلى أن حصل على الشهادة العالية ليسانس ١٩٦٥م. وفي ١٩٦٨م حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية من كلية أصول الدين – جامعة الأزهر، وفي ١٩٧١م – ١٩٧٣م سافر إلى فرنسا عضوًا في بعثة الأزهر لدراسة

توفيقا وسدادا عندما بدأ كتابه عن الاستشراق بهذه العبارات الرائعة (نحب أن نؤكد بادئ ذى بدء ، ونحن نبحث ظاهرة الاستشراق : أنه لا يجوز أن نبحث ظاهرة الاستشراق على أنها سياسية – استعمارية فحسب ، لم تكن ترى في الشرق إلا ما تتوق إليه ، بل يجب أخذ أية ظاهرة علمية أو ثقافية من مختلف جوانبها ، وتعدد أطرها ، ووجوهها ، بالمنهج العلمى الموضوعى ، مبتعدين عن التعميم خشية الالتباس ، حتى تتميز عناصرها ، ونتبين خصائصها من خلال الدراسة والبحث ، لذا يشترط علينا تعدى ضيق الرؤية (الاستعمارية) للاستشراق والبعد عن الحكم التسجيلى ووضعهم جميعا في قفص الاتهام ، تحت حكم واحد وحيثيات حكم واحد) .

إلى أن قال – رحمه الله – :(ليس من المنطق ، وليس من التاريخ ، أن نصدر حكما عاما على (أكاديمية الاستشراق) ففيها ذوو التوجه الاستعمارى ، وذوو التوجه التبشيرى ، وفيهم ذوو التوجه الموضوعى ، وذلك مما يقف مانعا أمام إصدار حكم عام يدين الاستشراق). (١)

ومما سبق يتضح لنا أمران:

١-أنه لا بد من توخى الحذر فى إطلاق الأحكام ، والعزوف عن التعميم فيها ، إذ يضارّ رهط من العلماء المستشرقين ، الذين كانت لهم أياد تذكر فى

الفلسفة الإسلامية "بالسوربون" – جامعة باريس وحصل على دبلوم عال في الفلسفة الإسلامية. وفي سنة ١٩٧٤م حصل على دكتوراه في الفلسفة الإسلامية – كلية أصول الدين – جامعة الأزهر، . وفي سنة ١٩٨٢م انتدب قائمًا بعمل عميد لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة. وفي سنة ١٩٨٤م عين أستاذ الفلسفة الإسلامية وعميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين – جامعة الأزهر. وفي سنة ١٩٨٥م سافر معارًا للمشاركة في مشروع إنشاء جامعة السلطان قابوس كلية التربية والعلوم الإسلامية. وفي سنة ١٩٩١م انتهت إعارته وعين رئيس قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الأزهر وفي سنة ١٩٩٣م انتدب أمينًا عامًّا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ثم استقال سنة ١٩٩٤م. وفي سنة ١٩٩٥م انتدب مرة ثانية أمينًا عامًّا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ثم استقال سنة ١٩٩٦م ، توفى سنة ٢٠٠٦م . انظر : الموقع الرسمى للمكتبة الشاملة ، تاريخ الزيارة ٢٠١٥/١٠/٢٥م .

(١) د/ محمد إبراهيم الفيومى ، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامى ص ٩ ، ١٠ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

سبيل خدمة التراث الإسلامى ، وتقديم الثقافة الإسلامية للآخر ، مع وقوع بعضهم فى أخطاء علمية ، فرضها عليهم عدم انتمائهم إلى ثقافة يتحدثون عنها ويبحثون فيها ، وجهل بعضهم باللغة العربية ، التى جاءت بها هذه الثقافة .[١]

٢-إن الطريقة المثلى في دراسة الاستشراق بتياراته المختلفة، ومدارسه المتنوعة (أن لا يدرس كتيار عام أو ظاهرة عدائية ، بل أرى أن يُدرس المستشرقون على أساس الأفراد والشخصيات بكل ما في البحث من جدِّية ، وبكل ما في الدراسة من موضوعية وتجرد ، على أن تكون هذه الدراسة مبنية على ما كتب هذا المستشرق أو ذاك أولا ، وعلى الوثائق الأصلية التى توضح وجهة نظر هذا المستشرق أو ذاك بصورة أوضح وأوثق من كتاباته المنشورة ثانيا وعندها يصح الحكم الموضوعى عليه).

المبحث الثانى

أسباب صحة القول بالموضوعية في نقد الاستشراق

تعريف الموضوعية:

الموضوعية : وصف لما هو موضوعى ، وهى بوجه خاص مسلك الذهن الذى يرى الأشياء على ما هى عليه ، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص .[٢]

والموضوعى: نسبة إلى الموضوع، وهو ما تتساوى علاقته بجميع المشاهدين برغم اختلاف الزوايا التى يشاهدون منها، ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائليها، بعيدة عن التأثر بأهوائهم وميولهم ومصالحهم فتتحقق في

---

(١)د/ على إبراهيم النملة ، نقد العقل المعاصر ، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق فيها ، ص ٣٦ ، دار الفكر – دمشق ط ١ سنة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

(٢) المعجم الفلسفى ، مجمع اللغة العربية ص ٢٠٤ مادة : موضوع رقم ١٠٢٣، جمهورية مصر العربية – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

البحث العلمى الموضوعيـة والنزاهة [١] ومعنى لا بد للباحث أن يكون موضوعيا، أى (أن يكون متجردا من مواريثه الاجتماعية، وأن يفصل بين عواطفه ، وعقله ، وبين تدينه وموضوع دراسته.

وهذه الحالة هى التى نسميها بالحياد التام ، والموضوعية الكاملة)، [٢]

فالموضوعية ، تعنى التجرد عن الأهواء والعواطف والميول والمصالح ، وقد ترجَّح لدىّ أنه – حتما ولازما – لا بد أن نكون موضوعيين فى إصدار حكمنا على تراث المستشرقين ، فلا يُرد الاستشراق كله ، ولا يُقبل كله كذلك ، بل لا بد من التمييز بين الطيب والخبيث ، وسوف أذكر أسباب ذلك وأهميته – كما تراءت لى ، وكما استبطتها من خلال مطالعاتى– على نحو المطالب الآتية :

المطلب الأول : ضرورة شرعية .

المطلب الثانى : إقرار بعض المستشرقين بالأخطاء العلمية والمنهجية في كتاباتهم.

المطلب الثالث : النقد الذاتى للاستشراق.

المطلب الرابع : إيجابيات المستشرقين.

المطلب الخامس : خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التفاهم بين الغرب والشرق .

المطلب السادس : اختلاف أصنافهم ومدارسهم وأيديولوجياتهم .

المطلب السابع : لأنه رأى أكبر مؤسسة دينية في العالم الإسلامى (الأزهر الشريف).

---

(١) نفس المصدر السابق من نفس الموضع .

(٢) د / أحمد غلوش ، دراسات في الأديان والنحل ص٥٢ ، مؤسسة الرسالة ط ٢ سنة ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م .

المطلب الأول

ضـــرورة شــرعيـــة

الصحيــح: أنــته لا بد من العدل في إصدار الأحكام، حتى مع أشد الناس لنا عداوة، وبغضا، وحسدا ، كما قال تعالى : {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا }[آل عمران:٧٥] .

وقال تعالى عن أهل الكتاب أيضا : { لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون }[آل عمران:١١٣] ، وقال عز من قائل : {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة:٢].

ومن دعاء الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – قوله : (وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب). (١)

وعن سليمان بن يسار : أَنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– (كان يبعث عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – (٢) إلى خيبر ، فيخرُص بينه وبين يهود

---

(١)الإمام / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، باب الدعاء بعد الذكر ، ٣/ ٦٢ ، رقم ١٣٠٤، دار المعرفة ببيروت ، ط: الخامسة سنة ١٤٢٠هـ ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، وصححه الشيخ الألبانى – رحمه الله – فى صحيح وضعيف سنن النسائى ٣/ ٤٤٩ ، برقم ١٣٠٥ ، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية .

(٢) الصحابى الجليل : عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وقيل في نسبه غير ذلك ، الأنصاري الخزرجي أبو محمد ، ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو المدني. شهد بدرا والعقبة وهو أحد النقباء وأحد الأمراء في غزوة موتة وبها قتل. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن بلال المؤذن ، روى عنه ابن أخته النعمان بن بشير ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأنس ، وأرسل عنه عبدالرحمن بن أبي ليلى ، وقيس بن أبي حازم ، وعروة بن الزبير ، وعطاء ابن يسار، وزيد بن أسلم ، وعكرمة ، وأبو الحسن مولى بني نوفل ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن ، قال الواقدي : كانت وفاته في جمادي الأولى سنة (٨هـ) ، قلت: وكذا قال غير واحد . انظر: الحافظ شيخ الإسلام ، شهاب

خيبر ، قال : فجمعوا له حَلْيا من حَلْي نسائهم، فقالوا : هذا لك ، وخَفِّف عنا وتَجَاوَزْ في القَسْم ، فقال عبد الله : يا معشر يهود ، والله إِنَّكم لمن أبغضِ خلق الله إِليَّ ، وما ذلك بحاملي على أَن أَحيف عليكم ، فأمَّا ما عرضتم من الرّشوة فإنها سُحْت ، وإِنَّا لا نأكُلُهَا ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض).[(١)]

وقال عمّار بن ياسر – رضى الله عنه [(٢)]– : (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان ، الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار).[(٣)]

ومن أصول أهل السنة التى فارقوا بها الخوارج – كما قال ابن تيمية – رحمه الله – [(٤)]: (أن الشخص الواحد تجتمع فيه حسنات وسيئات ، فيثاب على

الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ٥/ ١٨٦ ، حرف العين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط : الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

(١) الإمام / مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، موطأ الإمام مالك ، كتاب الصرف وأبواب الربا ، باب المعاملة والمزارعة فى النخل والأرض ، ٣/ ٢٦١ ، رقم ٨٣٠ ، دار القلم – دمشق ، ط: الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩١ م ، تحقيق : د/ تقي الدين الندوي ، قال الإمام الحافظ ابن عبد البر : هذا الحديث مرسل في جميع الموطآت عن مالك بهذا الإسناد، وقد يستند معنى هذا الحديث من رواية ابن عباس وجابر وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسماع سليمان بن يسار من ابن عباس صحيح . انظر: الحافظ : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ٩/ ١٣٩ باب الميم ، ابن شهاب عن سليمان بن يسار، تحققيق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى ، مؤسسة القرطبة بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٢)الصحابى الجليل : عمار بن ياسر بن عامر بن مالك ، وأمه سمية ، كان من السابقين الأولين هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذب في الله فكان النبي صلى الله عليه و سلم يمر عليهم فيقول : صبرا آل ياسر موعدكم الجنة ، وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه و سلم أن عمارا تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين في ربيع وله ثلاث وتسعون سنة ، وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم عدة أحاديث . انظر : الحافظ ابن حجر العسقلانى ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٧٥/٤ ، رقم الترجمة :٥٧٠٨ ، دار الجيل بيروت ، ط١ سنة ١٤١٢هـ ، تحقيق : على محمد البجاوى.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب إفشاء السلام من الإسلام ١٥/١، رقم ٢٨ ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر .

(٤)شيخ الإسلام : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي ، تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين ابن مجد ، ولد في عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١ ، ونظر في الرجال والعلل ، وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الأقران ، وصار عجبا في سرعة

حسناته ويعاقب على سيئاته ، ويحمد على حسناته ويذم على سيئاته ، وأنه من وجه مرضى محبوب ، ومن وجه بغيض مسخوط). [١]

إن العدل في إصدار الأحكام على المخالفين ، والإنصاف مع الأقران لهو خُلق عزيز ، وقلّ من يعمل به في هذا الزمان ، على الرغم من أنه من تعاليم ديننا الحنيف.

ولله درُّ الجبرتى – رحمه الله – [٢] عندما قال في كتابه الماتع (عجائب الآثار): (فإن الله – تعالى – ما خلق شيئا أحلى مذاقا من العدل ، ولا أروح إلى القلوب من الإنصاف). [٣]

الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول . قال الذهبي ما ملخصه : كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسالة من مسائل الخلاف واستدل ورجع ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ، قال : وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه ، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه ، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه ، ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل أكثر ، وكان قوالا بالحق لا يأخذه في الله لومة لائم ، قال : ومن خالطه وعرفه فقد ينسبني إلى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده ، وكان جهوري الصوت فصيحا سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم ، قال : ولم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه ، وأنا لا أعتقد فيه عصمة ، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية فإنه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشرا من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم تزرع له عداوة في النفوس ، وإلا لو لاطف خصومه لكان كلمة إجماع ، فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بشنوفه وأنه بحر لا ساحل له وكنز لا نظير له ولكن ينقمون عليه أخلافا وأفعالا، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك . توفى في اعتقاله بالقلعة سنة ٧٢٨ هـ . انظر: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، الناشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان .

(١) رسالة الوسطية ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، جمع وترتيب عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم ، دار الفتوح الإسلامية، ط١ سنة ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(٢) الإمام / عبد الرحمن الجبرتى (١٧٥٤ –١٨٢٥ م)، مؤرخ مصرى ، عاصر حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ – ١٧٩٩ م ، فاستكتبه الفرنسيون فى الديوان الذى أنشأوه فيها ، حتى إذا انسحبوا من أرض الكنانة وضع كتابه (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين) ، ومن آثاره (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ، ويعتبر أهم مصدر من مصادر التاريخ المصرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . انظر: معجم أعلام المورد ص ١٥٧ ، حرف الجيم ، مصدر سابق .

(٣) عبد الرحمن بن حسن الجبرتى ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١٦/١، مطبعة دار الكتب المصرية سنة

فلا بد من إمعان النظر في كتب المستشرقين بعيدا عن سيطرة العصبية والهوى ، أو العاطفة ، وإنما بنظرة موضوعية متجردة ، لأن بعضهم خدم الإسلام بخصومته له أجلّ الخدمات .

يقول د/ محمود حمدى زقزوق – حفظه الله – : (وحيث إن كلا من الاتجاهين المشار إليهما : الاتجاه المتحمس للاستشراق والاتجاه الرافض له غير منصف فيما ذهب إليه، فإنه كان لا بد من ظهور تيار ثالث يحاول أن يكون لنفسه رؤية موضوعية عن الاستشراق ومنشوراته العلمية، ويحاول جاهدا أن ينقد ما رآه سلبيا من وجهة النظر الإسلامية، ولا ينسى فى الوقت نفسه أن يذكر الإيجابيات التى تذكر للاستشراق في المجالات العلمية المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية .

وهذا الاتجـاه الثالث هو في حقيقة الأمر الاتجاه الذى يمكن أن نسميه اتجاها إسلاميا حقيقيا، لأنه هو الذى يتفق مع ما يطلبه الإسلام في مثل هذه الأحوال).(١)

المطلب الثانى

إقرار بعض المستشرقين بالأخطاء العلمية والمنهجية في كتاباتهم

إن المادحين للتراث الاستشراقى ، ليلا ونهارا ، والمُسبِّحين بأعمالهم سرا وجهارا، لاشك أنهم غير مكترثين بأن المستشرقين بشر، ومن شيمة البشر الخطأ والنسيان ، والسهو والزلل ، فليسوا ملائكةً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، ولهذا أخطأ الكثير منهم في معالجته لبعض المسائل في الدين الإسلامى ، وإن المستشرقين معترفون بذلك ، مقرون به ، مؤكدون عليه .

١٩٩٧م ، تحقيق أ / عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .

(١)د/ محمود حمدى زقزوق ، الإسلام في تصورات الغرب ص ٩ باختصار يسير ، مكتبة وهبة – القاهرة ط١ سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

ومما قاله «آربري» [1]- رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة كمبردج – للدكتور السباعى – رحمه الله – [2]: (نحن المُسْتَشْرِقِينَ، نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام، ومن الواجب أنْ لا نخوض في هذا الميدان لأنكم – أنتم المسلمين العرب – أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث) .

وعندما اجتمع بالبروفسور «روبسون» [3]، في انكلترا ، يقول – رحمه الله : وقد حرصت على أنْ أُبَيِّنَ له أنَّ الدراسات الاستشراقية السابقة فيها تحامل وبُعْدٌ عن الحقيقة، فقلت له: (أرجو أنْ تكون أبحاثكم – المُسْتَشْرِقِينَ – في هذا العصر أقرب إلى الحق والإنصاف من جولدتسيهر[4]، ومرجليوث [5]، وأمثالهما». فقال: أرجو ذلك).

وفي جامعة "ليدن" بهولندا اجتمع بالمستشرق الألماني اليهودي " شاخت "[6]

(١) تعلم فى مدرسة اللغات الشرقية فى بوتسماوث ، وكلية بمبروك فى كمبريدج ، وعين أستاذا للغة الفارسية فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، وهو يتقن اللغة العربية ، وكان زميلا لكلية بمبروك (١٩٣١م) ، ثم رئيسا لقسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية (١٩٣٢- ١٩٣٤م) ، قم عين أمينا لمكتبة ديوان الهند ، واختير وزيرا للأنباء سنة ١٩٤٠ -١٩٤٤م ، ونهج نهج أستاذه نيكلسون فى التصوف مع ميل إلى نظم الشعر ، وكان رئيسا لقسم الدراسات الشرقية والأفريقية فى جامعة لندن ١٩٤٦- ١٩٤٧م ، وانتخب عضوا فى مجامع علمية ، منها المجمع العلمى العربى فى دمشق ، ومن آثاره : تراث الإسلام – بمعاونة غيره ، وموقف الإسلام من الحرب ، والمدخل إلى تاريخ الصوفية ، ورباعيات جلال الدين الرومى ، والقرآن مفسرا – فى جزءين . انظر: العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٥٥٦ – ٥٥٩ ، مصدر سابق .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) جيمس روبسون المولد عام ١٨٩٠ م ، تخرج باللغات الشرقية من جامعة جلاسجو ، وعين أستاذ مساعد اللغة العبرية فيها (١٩١٥- ١٩١٦م) ، واختير معيدا للانجليزية فى لاهور (١٩١٨- ١٩١٩ م) ، ومعيدا للعربية فى جامعة جلاسجو (١٩٢٨ -١٩٤٨ م) ، ثم محاضرا (١٩٤٩ م) ، ثم أستاذا للعربية فى جامعة مانشستر (١٩٤٩ م) ، ومن آثاره : المسيح فى الإسلام ، المدخل إلى علم الحديث . انظر: العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، مصدر سابق .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) سبق ترجمته .

(٦) مستشرق ألمانى متخصص فى الفقه الإسلامى ، فى عام ١٩٣٤ م انتدب للتدريس فى الجامعة المصرية واستمر حتى عام ١٩٣٩واشترك فى الإشراف على الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية ، وينقسم

يقول – رحمه الله :(وَبَاحَثْتُهُ طويلاً في أخطاء جولدتسيهر [١]وَتَعَمُّدِهِ تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا، فأنكر ذلك أول الأمر، فضربتُ له مثلاً واحداً مِمَّا كتبه جولدتسيهر في تاريخ «السُنَّة»، فاستغرب ذلك، ثم راجع كتاب جولدتسيهر، فقال: «معك الحق، إنَّ جولدتسيهر أخطأ هنا»، قلت له: «هل هو مجرد خطأ؟» فاحتد وقال: «لماذا تسيئون به الظن؟» فانتقلت إلى بحث تحليله لموقف الزُّهْرِيِّ [٢]من عبد الملك بن مروان [٣]، وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما يزعمه جولدتسيهر. وبعد مناقشة في هذا الموضوع قال: «وهذا خطأ أيضاً في جولدتسيهر، ألا يخطئ العلماء؟»)[٤].

إنتاجه إلى الأبواب الآتية : دراسة مخطوطات عربية – تحقيق نصوص مخطوطة فى الفقه الإسلامى – دراسات فى علم الكلام – مؤلفات ودراسات فى الفقه الإسلامى – دراسات ونشرات فى تاريخ العلوم والفلسفة فى الإسلام – متفرقات . توفى ١٩٦٢م : انظر : د / عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ص ٣٦٦ – ٣٦٧ – ٣٦٨ .

(١) سبق ترجمته .

(٢) الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري المدني ، أحد الفقهاء السبعة ، وأحد الأعلام المشهورين ، قال عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية من الزهري ، وكذا قال مكحول ، وقال الليث قال ابن شهاب : ما استودعت قلبي علما فنسيته ، وقال ابن تيمية : حفظ الزهري الإسلام نحوا من سبعين سنة ، وقال ابن قتيبة : وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا ، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنه أو ليقتلن دونه ، وهم عبد الله بن شهاب وأبي بن خلف وابن قميئة وعتبة بن أبي وقاص ، توفى سنة ١٢٤هـ . انظر : ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ١/ ١٦٢، الناشر : دار بن كثير ، دمشق ، سنة النشر ١٤٠٦هـ ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط .
.

(٣)عبد الملك بن مروان الخليفة أبو الوليد ، ولايته المجمع عليها بعد ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأشهر ، وكان أبيض طويلا ، كبير العينين ، مشرف الأنف، رقيق الوجه، ليس بالبادن ، عده أبو زياد في الفقه في طبقة ابن المسيب ، وقال نافع : لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ، وولي بعده ابنه الوليد ، رأى عبد الملك كأنه بال في زوايا المسجد الأربع أو في المحراب أربع مرات، فوجه إلى سعيد بن المسيب من يسأله فقال : من ولده لصلبه أربعة تلي ، فكان كما قال ، ولي الوليد وسليمان وهشام ويزيد ، توفى سنة ٨٦هـ . انظر: المصدر السابق ١/ ٩٧.

(٤) د / مصطفى السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ص ٦٩–٧١ ، باختصار ، مصدر سابق .

وقال مونتجومرى وات [١] – مقرا بالحيف والجور وعدم الإنصاف الواقع على الإسلام من بعض باحثيهم الغربيين–:(فإننا معشر الأوروبيين نأبى فى عناد أن نقر بفضل الإسلام الحضارى علينا ، ونميل أحيانا إلى التهوين من قدر وأهمية التاثير الإسلامى فى تراثنا ، بل ونتجاهل هذا التأثير أحيانا تجاهلا تاما . والواجب علينا من أجل إرساء دعائم علاقات أفضل مع العرب والمسلمين، أن نعترف اعترافا كاملا بهذا الفضل ، أما إنكاره أو إخفاء معالمه فلا يدل إلا على كبرياء زائف). [٢]

ولا يبتعد عن الذهن أن ناسا من الغرب المهاجمين للإسلام كان جهلهم وراء موقفهم من الإسلام ونبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– ، وهذا ما أوضحه المفكر الفرنسي ديبا سكييه حين قال: (إن الغرب لم يعرف الإسلام أبدا، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه، ولم يكف عن الافتراء عليه والتنديد به، لكي يجد المبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر؛ ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان)[٣].

وعطفا على ما سبق اتضح لنا أن بعضَهم وقع فى أخطاء ربما كانت نتيجة عن جهلهم أو عن غير قصد للخطأ ، بسبب الصورة المغلوطة والشائهة عن

---

(١)مونتجومرى وات ، عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة ادنبرا ، ومن آثاره : عوامل انتشار الإسلام ، ومحمد فى مكة ، والإسلام والجماعة الموحدة . انظر: العقيقى ، المستشرقون ٥٥٤/٢ ، مصدر سابق .

(٢) مونتجومرى وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨، مكتبة مدبولى ط ١ سنة ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، نقله إلى العربية ا لأستاذ/ حسين أحمد أمين .

(٣) انظر: نبيل أبو الفتوح ، عرض لكتاب ديبا سكييه ، جريدة البلاد – السعودية بتاريخ ١٣٩٩/١١/٨هـ ، ص ٩ ، (وقد أصدر الكتاب المعهد الإسلامى بجنيف باللغة الفرنسية) نقلا عن : د/ عبد القادر طاش، أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامى ص ٤٤ ، المختار الإسلامى رقم ١١ بدون رقم طبعة وتاريخ .

الإسلام فى الغرب ، وقد يكون ذلك الصنف نادرا ، لكنه وقع بالفعل ، واعتذر بعضهم عن خطئه ، وأبدى حسن نيّته ، وذلك فيما رآه بعينه صاحب كتاب (المستشرقون والتاريخ الإسلامى)[١].

المستشرقون ينبذون فكرة التعميم بالخطأ :

ومن أجل ذلك لا يرتضى المستشرقون ذاتهم بفكرة التعميم بالخطأ على الجميع ، ويرفضون إطلاقا وضعهم جميعا فى خندق المتربصين بالإسلام ، المفترين عليه ، الذين يتعمدون التشكيك فيه ، والترويج بالباطل على تراثه

---

(١)يقول الدكتور / على حسنى الخربوطلى عندما كان أستاذا زائرا في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجيل بمدينة مونتريال بكندا في العام الجامعى ١٩٦٣- ١٩٦٤م : (وحضرت محاضرة عامة ألقاها أستاذ أمريكى ، يعتبر في مقدمة المستشرقين المعاصرين ، وأصفه بالإنصاف والعمق في الدراسة ، وأنفى عنه أى اتهام قد يوجه إليه .

وقف المستشرق المذكور فى أوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٦٣م ، يلقى محاضرة عن ظهور نظام الخلافة ، ويبدو أنه كان لا يزال متأثرا بمصرع الرئيس الأمريكى (جون كيندى) فقال المستشرق : (وبعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم- تولى أبو بكر الحكم ، وهذا يشبه ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية ، حينما تولى لندون جونسون بعد مصرع جون كيندى . وجرت العادة في مثل هذه المحاضرات العامة إتاحة الفرصة لكل من يريد التعليق والتعقيب . ولذا انبريت للأستاذ المستشرق لأفنّد مقالته ، فقلت له : إنه لا يصح مطلقا وضع نبى من الأنبياء موضع مقارنة أو تشبيه بأى إنسان آخر ، كما لا يجوز تشبيه أبى بكر الصحابى الجليل وأول الخلفاء برئيس أمريكى ، مهما بلغ نفوذه أو سلطانه . كما أن طريقة تولية أبى بكر رئاسة الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تخالف نظام الحكم الرئاسى الموجود في الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد تولى أبوبكر الخلافة بعد بيعة خاصة في سقيفة بنى ساعدة ، ثم بيعة عامة في المسجد النبوى في اليوم التالى ، وهاتان البيعتان تحققان ما أمر الإسلام به من شورى وديمقراطية ، كما أن أبا بكر لم يكن نائبا عن الرسول في رئاسة الدولة الإسلامية في حياته الكريمة ، هذا بينما كان (جونسون) نائبا لرئيس الجمهورية (كيندى) ، ولذا تولى الحكم بعد مصرعه .

وقد أبدى الأستاذ الأمريكى المستشرق اعتذاره ، وأوضح حسن نواياه ، وذكر أنه إنما كان فقط يريد تقريب الصورة لعقول الأمريكيين المستمعين لمحاضرته ، وأن المستشرق لا يزال متأثرا بمصرع (كيندى) الذى هزّ مشاعر الأمريكيين وأثّر في نفوسهم). انظر: د/ على حسنى الخربوطلى ، المستشرقون والتاريخ الإسلامى ص ١١٦ – ١١٧ باختصار يسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م .

وحضارته وتاريخه ، فيقول مثلا المستشرق (ستورى) [(١)] مدافعا عن المستشرقين ، ويرى عدم اتهامهم جميعا ، بدون استثناء بالتعصب والإجحاف : (إنكم في البلاد العربية تعتقدون أن جميع المستشرقين متعصبون على الإسلام ، وما أرى هذا الاعتقاد صحيحا دون قيد ، نعم ، إن هناك فريقا تعصب بحكم صنعته التى يرتزق منها ، ولكن هذا الفريق معروف عندنا كما هو معروف عندكم ، وليس من الإنصاف أن يشمل الحكم جميع الباقين ، إن الذين خدموا العربية كثيرون ، وقد حاولوا أن يكونوا منصفين في أبحاثهم بقدر ما يمكن للإنسان أن يكون منصفا)(٢).

ويتعمد (وات) [(٣)] الحديث فى مقدمة كتابه (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) عن هدفه من وراء هذه الدراسة، وكان أحد أهدافه هو: بيان أن الدارسين الغربيين للإسلام ليسوا بالضرورة معادين للدين الإسلامى ، بل منهم من جمعوا بين هذا وذاك ، قائلا : (إن هدفى الأساسى أن أقدم الإسلام بأفضل شكل مبسط للقارئ الأوربى والأمريكى الذى ينظر للأمور بمنظور دينى أو بمنظور علمانى . وإنى أقصد بذلك أن أبطل مفعول الآثار الباقية من دعايات حروب العصور الوسطى (الحروب الصليبية)، كما أننى حاولت أن أجعل القارئ يتحقق على نحو أفضل من ذى قبل من أهمية الإسلام التى تجلت طوال مئات السنين التى أعقبت حروب العصور الوسطى هذه .

---

(١) المولود فى عام ١٨٨٨م ، تعلم فى كلية ترينيتى – كمبريدج ، وأصبح أستاذا للغة العربية بجامعة عليكرة بالهند ، وأستاذا للعربية فى كرسى السير توماس ادامز فى كمبريدج (١٩٣٣– ١٩٤٧م) ثم اعتزل التعليم للتفرغ لدراسة الأدب الفارسى ، وهو يملك أعظم مكتبة خاصة شرقية فى انجلترا ، ومن آثاره : نشر الفاخر للمفضل بن سلمة ، وتاريخ الأدب الفارسى ، وتفسير فقرات من أحسن ما سمعت للثعالبى . انظر : العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٥٤٢ ، مصدر سابق.

(٢) د/ إسحاق موسى الحسينى ، علماء المشرقيات في انجلترا ، ص ١٤ (القدس سنة ١٩٤٠ م)، نقلا عن د/ على حسنى الخربوطلى ، المستشرقون والتاريخ الإسلامى ، مصدر سابق ، و العقيقى ، المستشرقون ٣ /١١٦٢-١١٦٣ ، مصدر سابق .

(٣) سبق ترجمته .

والهدف الثانى هو : أن أوضح للمسلمين أن الدارسين الغربيين ليسوا بالضرورة معادين للإسلام كدين ، بل إنه من الممكن أن نجمع بين هذه الاتجاهات). [١]

وهكذا ظهر لنا أن التعميم بالأحكام من غير قيود لا يوافق عليه بعض المستشرقين ، وهم مقرون بأن بينهم من افترى على الإسلام كذبا وزورا ، وأنهم معروفون فى أوساطهم العلمية ، كما أنهم معروفون لدينا .

المطلب الثالث

النقد الذاتى للاستشراق

كذلك من الأمور الهامّة التى تدفعنا إلى أهمية تكوين رأى موضوعى نحو الاستشراق ، أنه يوجد علماء يدركون وجود معلومات خاطئة أو كاذبة ، منتشرة لدى الكتّاب التقليديين ، وربما انتقدوا هذه الكتابات في دراساتهم ، ولكن هؤلاء قلة ، ولم يؤثروا التأثير المحسوس على مجمل الدراسات الاستشراقية[٢]، لكن لا بد أن يؤخذ كلام هؤلاء بعين الاعتبار الشديد أثناء نقد الاستشراق والرد على ذويهم من المستشرقين ، وله كذلك أهمية فى بناء حكم علمى عليهم . حيث إنه ردٌّ صدر من أبناء جلدتهم ، فيكون أشد تأثيرا ، وأجدى نفعا ، وأعظم فائدة ، وأبين حجة ، بل ألزمها وأقواها.

يقول شاخت[٣] : (كان لا بد أن يمارس الاستشراق العلمانى في أول الأمر هواة ، كان على رأسهم عالم غزير الإنتاج هو (جوزيف فون هامر بورغشتال) (١٧٧٤ – ١٨٥٦م) [٤] ، لقد كانت تعوزه الدقة الفيلولوجية ، لكن لم يضاهيه

---

(١)مونتجمرى وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ص٢٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م .

(٢)آصف حسين ، صراع الغرب مع الإسلام ص ١٥٠ ، مصدر سابق .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) مستشرق نمسوى ، ترجم أجزاء من سيرة عنترة ، وألف ليلة وليلة ، كما ترجم تائية ابن الفارض إلى الألمانية

أحد في نشر المعرفة بالشرق) [١].

وحكى الدكتور/ مصطفى الشكعة – رحمه الله– [٢]موقف المستشرق اليهودى النمسوى المولد الأمريكى الوفاة :(فون جرونباوم) [٣] حين أخذ يكيل التهم للإسلام والمسلمين دون خجل أو حياء في مؤتمر كراتشى في أواخر العقد الخامس من هذا القرن ، بحيث استفز جميع أعضاء المؤتمر ، ومن بينهم قلة متعاطفة معه في سريرتها ، الأمر الذى جعل الدولة المضيفة تتخذ قرارا – على كره منها – بطرده من المؤتمر وترحيله عن البلاد .

ولم يكد يؤذن لنا بالكلمة حتى قفز إلى المنصة مستشرق أسبانى جليل هو الدكتور بدرو مونتايث [٤] الأستاذ بجامعة مدريد ، فتصدى للمستشرق الأمريكى

مع نشر نصها العربى ، وقام بمحاولة أولى لكتابة تاريخ الأدب العربى ، أصدر مجلة ينابيع الشرق فى فيينا من ١٨٠٩ – ١٨٠٨م .، توفى ١٨٥٦م . انظر : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ٧١٤ ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض، بدون رقم طبعة وتاريخ ، وانظر : موقع ويكبيديا الموسوعة الحرة ، تاريخ الزيارة ٢٠١٥/١٠/٣٠م .

(١) شاخت ، تراث الإسلام ١/ ٦٤ ، مصدر سابق .

(٢) الدكتور / مصطفى محمد الشكعة (١٩١٧ -–٢٠١١ م) مفكر وأستاذ جامعي مصري وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة عين شمس، ورئيس لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وعضو لجنة الحوار الإسلامي المسيحي بالأزهر الشريف . انظر: موقع ويكيبديا ، الموسوعة الحرة تاريخ الزيارة ٢٠١٥/١١/٣م .

(٣) هو جوستاف فون جرونبوم ، المولود سنة ١٩٠٩م ، نمسوى الأصل ، تخرج من جامعتى فيينا وبرلين ، وعين أستاذا مساعدا للدراسات العربية والإسلامية فى جامعة نيويورك سنة ١٩٣٨ – ١٩٤٢م ، وفى جامعة شيكاغو ١٩٤٣ –١٩٤٩ م ، وكان أستاذا لتاريخ الشرق الأدنى فى جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٥٧ ، ثم رئيسا لقسم دراسات الشرق الأدنى فيها ، ومن آثاره : الشعر العربى ، والمسلمون ، نقد الأدب العربى ، تطور الشعر الدينى فى الإسلام . انظر: العقيقى ، المستشرقون ٢/ ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ،١٠٢١، مصدر سابق .

(٤) بيدرو مارتينيز مونتابيث هو : أهم مستعرب ومستشرق أسبانى فى العصر الحديث له دور رائد فى بناء جذور التواصل بين الثقافتين العربية والأسبانية ، وله جهود كثيرة فى جمع المستعربين الأسبان والمستعربين فى أمريكا اللاتينية بالمتخصصين العرب باللغة وبالثقافة الأسبانية ، حصل على الدكتوراه فى الفلسفة والأدب (اللغات السامية) من جامعة كومبولتنس بمدريد ، حيث درس بها فى الفترة من ١٩٦٢ إلى م ١٩٦٩م ، وشغل منصب أستاذ كرسى التاريخ الإسلامى فى جامعة إشبيلية، ثم انتقل إلى جامعة مدريد المستقلة وشغل فيها منصب نائب عميد ثم عميد للجامعة وفى الفترة من عام ٢٠٠٣ الى ٢٠٠٧ م ، قام بتدريس اللغة

ووصفه بالجهل المطبق ،واتهمه بأنه لم يقرأ التاريخ ولم يفهمه ، واستطرد قائلا :

(إسبانيا ما كان لها أن تدخل التاريخ الحضارى لولا القرون الثمانية التى عاشتها في ظل الإسلام وحضارته ، وكانت بذلك باعثة النور والثقافة إلى الأقطار الأوروبية المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والأمية والتخلف). ثم قال الدكتور الشكعة – رحمه الله : (والأمر الطيب في هذا الموقف هو أن مستشرقا يرد على مستشرق ، وليس عربى يرد على مستشرق ، مما كان له صدى عميق في ساحة المؤتمر ومنعطفاته).[١]

إن هذه النقود العلمية التى ذكرها المستشرقون لها دلائلها ، وقد تكون أبلغ في النقد ، والتصدى ، والمواجهة ،(إن ما ذكره بعض المستشرقين في هذا المجال يعد ثروة مفيدة ، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين).[٢]

ويرى الدكتور/ صلاح الدين المنجد – رحمه الله – [٣] أن المستشرقين

العربية فى كلية الفلسفة والآداب بنفس الجامعة إذ شغل منصب أستاذ كرسى فخرى وهو المنصب الذى يحال له أساتذة الجامعات بعد سن السبعين، كما ترأس الجمعية العربية الإسلامية، ومعهد الدراسات الشرقية والإفريقية ، وترأس جمعية الصداقة الإسبانية العربية، والجمعية الإسبانية للدراسات العربية، وكان عضوا فى مجمع اللغة العربية فى عمان، كما شغل منصب رئيس جمعية أصدقاء الشعب الفلسطينى . نال بيدرو مارتينيز العديد من الجوائز مثل جائزة التضامن مع العالم العربى من جمعية الصحفيين العرب فى أسبانيا، وتم منحه جائزة الشيخ زايد للكتاب والتى تم منحه فيها لقب شخصية العام الثقافية عام ٢٠٠٩، وجائزة الميدالية الذهبية الأندلسية عام ٢٠١٠، وتم تكريمه فى بلدته جيّان أكثر من مرة ، وتم منحه الدرع الذهبى للمدينة، ونال لقب الابن البار للمدينة . انظر : موقع أندلسى ، تاريخ الزيارة ٢٠١٥/١٠/٣١م .

(١) د/ مصطفى الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ص ٢٧٦-٢٧٧ ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية – الجزء الثانى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مكتب التربية العربى لدول الخليج ،بدون بيانات أخرى .

(٢)د/ أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامى ص٦٩، الدار المصرية اللبنانية ط١ سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٣) العالم المحقق الموسوعى الأديب ، ولد فى حى القيمرية القديم ، جنوب المسجد الأموى بدمشق ،كان مديرا للعلاقات الثقافية والبعثات بوزارة المعارف ، وأُوفد فى بعثة إلى باريس ، ونال الدكتوراه فى القانون الدولى العام ، ، ولما عاد إلى سوريا رشح للعمل فى جامعة الدول العربية ، وكان مديرا لمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ثم مستشارا ، برع الدكتور المنجد فى مجال تحقيق النصوص ، وأجاد كل إجادة فيما عرض له من إحياء التراث ، وظفر بإعجاب جميع

الألمان قد مارسوا بجدارة مهمة استدراك بعضهم على أعمال البعض ، ورد ما لدى بعضهم من أغاليط وأخطاء ، سواء عن عمد أو جهل فيقول : (ولست أنكر أن في إنتاج بعض هؤلاء المستشرقين نقصا أو أغلاطا ، ولكن من هو العالم الكامل؟ يكفى أنهم عملوا بحب وحماسة بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر، ولقد استدرك بعضهم على بعض ، بإخلاص ، وصحح بعضهم أخطاء بعض ، وكانوا علماء حقا يقبلون كل نقد وتصحيح). [١]

وتؤكد على ذلك(أنّا مارى شيمل)[٢]– وهى مستشرقة ألمانية منصفة – فتذكر من صفات المستشرق الألمانى (أوغست فيشر) (١٨٦٥– ١٩٤٩ م) [٣] : (... كلما تحدث فروى من الكتب العربية ما روى ، أو نقد آثار زملائه – وكان شديد النقد ، لاذع اللسان). [٤]

الناس فيما أخرجه وحققه ، فهو بحق عالم التراث بلا منازع ، ويُعتبر المؤسس الأول لمعهد المخطوطات العربية ، توفى سنة ٢٠١٠ م . انظر: مقالات ودراسات مهداة إلى الدكتور صلاح الدين المنجد ، ص: و ، ١، ٢، ٣، ويراجع الكتاب كله ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى رقم ٧٠ ، لندن سنة ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م .

(١) د/ صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ص ١٢ ، دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٨م ، وقد ألف شيخ الألمان نولدكه رسالة بعنوان أخبار وانتقاات رد فيها على آراء المستشرق اليسوعى لامنس وقام بترجمتها د/ قاسم العكيلى ، وتم نشرها فى مجلة دراسات استشراقية – العد الرابع سنة ١٤٣٦هـ –٢٠١٥م ، ص ٢٧٥ ، إصدار المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية .

(٢) ولدت أنا ماري شيمل في ٧ أبريل ١٩٢٢م في مدينة إرفورت بوسط ألمانيا، وقد حصلت في عام ١٩٥١م على دكتوراه عن مصطلح الحب الصوفي في الإسلام، وقد أحرزت رغم مناوشات المناوئين في عام ١٩٩٥م، وكأول مستشرقة ودارسة للإسلام جائزة السلام الألمانية التي يمنحها اتحاد الناشرين الألمان ويسلمها رئيس الدولة الألماني، ويكبيديا، الموسوعة الحرة، تاريخ الزيارة ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٥م .

(٣) ولد فى هاله ، وتخرج باللغات الشرقية على توربكها ، وأتقنها ، وقد نحا نحو فلايشر فى العناية بفقه اللغة ، وأنشأ مجلة الدراسات السامية فى ليبزيج سنة ١٩٣٢م ، وطارت له شهرة واسعة ، وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق ، والمجمع اللغوى بمصر، ومن آثاره : كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى ، ومخارج الصوت فى اللهجات العربية ، وخير ما خلّف هو معجم اللغة العربية القديمة . انظر: د / يحيى مراد ، معجم المستشرقين ص ٨١٩ ، ٨٢٠ ، مصدر سابق.

(٤) أنا مارى شمل ، أوغست فيشر ص ١٣١ ، المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، مصدر سابق .

كذلك انتقدت أنّا مارى شيمل [(١)] في كتابها الإسلام دين الإنسانية ما كتبه بعض المستشرقين حول شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم ، تقول : (وقد أظهر كل من وليم موير (١٨١٩–١٩٠٥م) [(٢)]، وألويس شبرنجر (١٨١٣–١٨٩٣م)[(٣)] ، ومرجليوث (١٨٥٨–١٩٤٠م) [(٤)]ميولا قوية نحو تشويه شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم ، وقد وصفوه في أحسن الأحوال بأنه مصلح اجتماعى ، وليس نبى الإسلام أو رسول الله [(٥)]..... وكثيرا ما كانت آراء المستشرقين في القرن التاسع عشر موضوع نقد في الدراسات الحديثة بشكل متكرر). [(٦)]

وقد عدّد المستشرق الألمانى (بارت) [(٧)]جهود (شبرنجر) [(١)] في مجالات

---

(١) سبق ترجمتها .

(٢) اسكتلندى ، تعلم الحقوق فى جامعتى جلاسجو وادنبرا ، وعُين أمينا لحكومة الهند سنة ١٨٦٥ – ١٨٦٨ م ، ثم اختير رئيسا لجامعة لجامعة ادنبرا (١٨٨٥ – ١٩٠٢ م ، ومن آثاره : سيرة النبى والتاريخ الإسلامى ، وهو من المراجع التى يعتمد عليها فى الجامعات الانجليزية والهندية ، وهو فى أربعة أجزاء ، ومن آثاره : دولة المماليك فى مصر ، ومصادر الإسلام ، توفى ١٩٠٥م . انظر: العقيقى ، المستشرقون ١/ ٤٩٢، مصدر سابق .

(٣)رحل إلى لندن وتجنس بالجنسية البريطانية ، ونال الدكتوراه من ليدن سنة ١٨٤١م ، وتولى رئاسة الكلية الإسلامية فى دلهى ، ثم مدرسة كلكتا ، وعُين أستاذا للغات الشرقية فى جامعة برن بسويسرا ، ومن آثاره : سيرة محمد – صلى الله عليه وسلم – فى ثلاثة أجزاء ، أعانه فيها نولدكه ، وله أصول الطب العربى على عهد الخلفاء ، وهى رسالته فى الدكتوراه ، وترجم إلى الانجليزية أقساما من مروج الذهب للمسعودى ، توفى سنة ١٨٩٣م . انظر :العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٦٣١ ، ٦٣٢، مصدر سابق .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) الإسلام دين الإنسانية ص ٢٤ مصدر سابق.

(٦) نفسه ص ٢٥.

(٧) بارت (رودى) ، مستشرق ألمانى ، ترجم القرآن إلى الألمانية ، دخل جامعة توبنجن ، وعُين مدرسا مساعدا فى قسم الدراسات الشرقية بها ، وفى سنة ١٩٤١م شغل كرسى علوم الإسلام والساميات فى جامعة بون خلفا لباول كاله ، وفى سنة ١٩٥١م عُين أستاذا للساميات والإسلاميات فى جامعة توبنجن ، حتى أحيل إلى التقاعد فى ٣٠ / ٩ / ١٩٦٨ م ، والعمل الأساسى الذى ارتبط به اسمه هو ترجمة القرآن للغة الألمانية ، ومحمد والقرآن ، وتوفى سنة ١٩٨٣م . انظر :الدكتور / عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ، ص ٦٢، ٦٣، مصدر سابق .

الدراسات الإسلامية ، ثم عبّر عن حيرته وتعجبه من كتابه عن محمد فقال: (وكان المتوقع أن يتمكن شبرنجر بما لديه من مصادر كثيرة ، من كتابة سيرة لمحمد لا تدع مجالا للنقد أو الأخذ ، ولكن السيرة التى ألّفها خيّبت الظنون في أكثر من ناحية ، ولم ترع شروط ومتطلبات التقرير العلمى ، فقد ضلله اتجاهه إلى النظر إلى الإسلام). [٢]

وكلاهما من مدرسة واحدة إنها الألمانية .

وهذا نفس ما قام به (بودلى) [٣] المتناقض مع نفسه في كتابه (الرسول – حياة محمد – صلى الله عليه وسلم) إذ أنه في مقدمة كتابه المذكور انتقد بعض أعمال زملائه الغربيين عن الرسول– صلى الله عليه وسلم [٤] ، لكنه في ثنايا كتابه وقع في منكرات كبار ، وأباطيل جسام ، ومنكرات وترهات [٥].

حتى جولدتسيهر[٦] ذاته ، صاحب المنزلة الكبرى لدى المستشرقين ، قد خالفه بعض المستشرقين المتأخرين في فكره وآرائه ، ولم يسلم منهم من مناقشة آرائه ، وأوعز الدكتور / أبو شهبة – رحمه الله – [٧] أسباب ذلك إلى (استقلالهم في التفكير ، وتأبّيهم عن المتابعة ولو كانت فيما هو خطأ صراح) [٨].

---

(١)سبق ترجمته .

(٢) د/ على حسنى الخربوطلى ، المستشرقون والتاريخ الإسلامى ص ١٢٠ ، مصدر سابق .

(٣) ر.ف. بودلى ، من آثاره (الرسول ، حياة محمد) وقد آمن فى مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية وضل من بعد فى تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر . انظر : العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٥٢٩ ، مصدر سابق.

(٤) انظر: من الكتاب المذكور ص ١٥ ، ١٦، ١٧ ، ١٨ ، ترجمة : عبد الحميد جودة السحار – محمد محمد فرج ، دار الكتاب العربى بمصر بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٥) رد عليها ردا علميا رصينا الدكتور/ مهدي بن رزق الله أحمد ، في كتابه (مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية) ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٦) سبق ترجمته .

(٧) سبق ترجمته .

(٨) دفاع عن السنة ، ص ٣٧٤ ، مصدر سابق.

ولا ينسى الباحث في هذا المقام ذكر نقد المستشرقة الفاضلة زيجريد هونكه [١]، لكلمة الفيلسوف الألمانى الكبير (لايبنتز) (١٦٤٦ – ١٧١٦م) [٢]، حيث صوّر (القدر النصرانى الذى ينبغى أن يذعن له ويتقبله النصرانى بالصبر ، راضيا أن الرب الرحيم مصرف الأمور ، على النقيض من القدر المحمدى الخانع المتشائم كل التشاؤم جملة وتفصيلا ، حتى إن الإنسان لا تتاح له الفرصة مرة واحدة لتجنب الأخطار التى تهدده أبدا ، وإنما عليه أن يرمى نفسه في خضمها أعمى البصر والبصيرة) ، وتعلق الدكتورة هونكه قائلة : (إن هذا محض افتراء على الحق ، بل إننا هنا نصطدم – ولكن على مستوى فكرى أعلى – بالغلو المفرط المنحاز في تصويره للخصم ، وهو نس الغلو الذى عهدنا من قبل مستهل القرون الوسطى .

والحق أن هذا الحكم المسبق المفترَى والذى لا يفتأ مغذوه يلحون على إنمائه زاعمين أن التواكل المذعن خصيصة تسيطر على المسلمين ، إنما يتعارض مع روح القرآن ، وتنفيه الأحاديث النبوية نفيا قاطعا) .[٣]

---

(١)الدكتورة / زيغريد هونكة ، مستشرقة ألمانية ، أحبت العرب ، ودافعت عن قضاياهم ، وهى زوجة الدكتور / شولنزا ، المستشرق الألمانى الكبير ، الذى اشتهر بصداقته للعرب وتغمقه فى دراستهم ، حصلت على الدكتوراه من جامعة برلين عن موضوع (أثر الأدب العربى فى الآداب الأوروبية) ، وفى عام ١٩٥٥م صدر مؤلفها الأول (الرجل والمرأة) ، وهو كتاب تاريخى ، أكدت فيه فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة ، والحضارة الإنسانية عامة ، وكتابها شمس العرب تسطع على الغرب هو ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية العميقة . انظر : زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ص ٧، ٨، دار الجيل – بيروت ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، نقله عن الألمانية : فاروق بيضون – كمال دسوقى ط ٨ سنة ١٤١٣هـ - –١٩٩٣م .

(٢) فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات ودبلوماسي ومكتبي ومحام ألماني الجنسية. ، يشغل لايبنتز موقعاً هاماً في تاريخ الرياضيات و تاريخ الفلسفة. أسس لاينتز علم التفاضل و التكامل الرياضياتي و بشكل مستقل عن إسحق نيوتن، كما أن رموزه الرياضياتية ما زالت تُستخدم و بشكل شائع منذ أن تم نشرها و التعريف بها . انظر : ويكيبديا الموسوعة الحرة ، تاريخ الزيارة ٣١ /١٠ /٢٠١٥م.

(٣) زيجريد هونكه ، الله ليس كذلك ص ٣٩ ، دار الشروق ط ٢ سنة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

وكأننى بالعلاّمة / محمود شاكر [١]- رحمه الله – يميل إلى أهمية ذكر نقود بعض المستشرقين لبعض فيقول في مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية مخاطبا الأستاذ / مالك بن نبى [٢]- رحمهما الله : (ولا تحاكم (مرجليوث) [٣]وأشياعه إلى رأيك ونظرك ، بل دع محاكمته إلى مستشرق مثله ، هو (آربرى)[٤] يقول في خاتمة كتابه (المعلقات السبع) وقد ذكر أقوال (مرجليوث [٥]) وفنّدها : (إن السفسطة – وأخشى أن أقول : الغش – في بعض الأدلة التى ساقها الأستاذ (مرجليوث) أمر بيّن جدا ، ولا تليق أبدا برجل كان ، ولا ريب من أئمة العلم في عصره) [٦].

وهذا حكم شنيع ، لا على (مرجليوث) حده ، بل على كل أشياعه وكهنته وعلى ما جاؤوا به من حطام الفكر) .[٧]

وأودّ الإشارة إلى أن من المستشرقين من كان يهتم بالنقد ولا يضيق به صدره مثل جورجى زيدان [٨]حيث قال : (لا جدال في أن الانتقاد أكثر فائدة من

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) سبق ترجمته .

(٦) الظاهرة القرآنية ، مقدمة الأستاذ محمود شاكر ص ، ٢٢ ، مصدر سابق.

(٧) الظاهرة القرآنية ص ٢٣.

(٨)من أسرة لبنانية رقيقة الحال ، كانت تعيش فى قرية عين عنوب اللبنانية ، ثم حدثت ظروف اضطرت جدته لأبيه إلى الهجرة إلى بيروت العاصمة مع بنتيها وابنيها ، وأكبرهم حبيب زيدان والد جورجى زيدان ، ولد جورجى زيدان سنة ١٨٦١م ، وجاء القاهرة ليتعلم فى مدرسة الطب سنة ١٨٨٣م ، وفي القاهرة اشتغل محررا فى جريدة الزمان ، وفى سنة ١٨٨٤ م ، رافق الحملة الانجليزية إلى السودان مترجما لها ، وفى سنة ١٨٨٥، سافر إلى بيروت وتعلم اللغتين السريانية والعبرية ، وكان من ثمرة هذا أنه ألف كتابه (الفلسفة اللغوية) أو (الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية) ، وكان من أثر ذلك أن عينه المجمع الآسيوى الملكى عضوا عاملا فيه ، وترأس جورجى زيدان مجلة المقتطف فى مصر ، واستقال منها سنة ١٨٨٨م ، ليشتغل بالكتابة والتأليف ، وفى هذه الفترة أصدر كتابه (تاريخ مصر الحديث) ، وفى عام ١٨٩٢م أصدر مجلة الهلال ، وكان يقوم بتحريرها بنفسه ، إلى أن كبر ولده (أميل) وصار

التقريظ ، وقد يتبادر إلى الذهن أن انتقاد الكتب يحط من قدرها أو يذهب بفضل أصحابها ، وهو خلاف الواقع .

وإذا رأينا له مثل هذا التأثير أحيانا فلأن الكتاب المنتقد لم يكن يستحق عناية المنتقدين ، ولو ترك بلا انتقاد لكان أسرع إلى السقوط ، أمّا الكتب الهامّة فإنها تزداد بالانتقاد شيوعا ورواجا ، ويزداد أصحابها رسوخا في عالم الشهرة).[١]

فهل بعد أن تعرفنا على انتقاد بعضهم لبعض ، ورد بعضهم على أقوال بعض – وهذا يدل – ببساطة – على عدم الرضا من بعضهم عن كل ما يقال فى الأوساط الاستشراقية – يليق بنا أن نجعلهم فئة واحدة ، وأن نجمعهم فى حكم واحد ؟!!!.

المطلب الرابع

إيجابيات المستشرقين

لبعض المستشرقين جهود جبّارة ، وأعمال فُضلى تجاه التراث الإسلامى ، نشرا وتحقيقا ، وتلك الجهود لا ينكرها إلا جاحد أو باغ أو منتقص أو ظالم أو متعمد لهضم حقوق المستشرقين ، ومن تلك الأعمال العظيمة الرائقة البهيجة ، الجليلة القدر :

١–(العناية بالمخطوطات العربية التى جُلبت إلى أوروبا [٢]، وفهرستها فهرسة

مساعده فى تحريرها ، توفى سنة ١٩١٤م . انظر : محمد عبد الغنى حسن ، جرجى زيدان ، ص ٧، ٨ ، ٩ – ١٣ ، باختصار كبير ، سلسلة أعلام العرب – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠م .

(١) محمد عبد الغنى حسن ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ص ٤١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦م .

(٢) قال د/ صلاح الدين المنجد ، عن كيفية وصول هذه المخطوطات إلى الغرب : (إن قسما منها انتقل نهبا أو غصبا كما فعل الفرنسيون فى شمال أفريقيا ، وفى سورية ولبنان ، وكما فعل الانجليز فى مصر وبلاد الشرق الأقصى ، وكما فعل الروس فى بلاد إيران وتركيا . وما أقوله ليس افتراء فقد رأيت بنفسى مخطوطات عليها وقفيات على مدارس أو مساجد فى مدينة تركية أو إيرانية أو مغربية ، فوجدتها فى لينينغراد أو باريس ، وقسما آخر باعه التجار عندنا ابتغاء المال ، لأننا كنا مغفلين لا نعرف قيمة هذا التراث ، فبيع على الأغلب

علمية نافعة [١].

٢–ما قدمه الاستشراق من دراسات حول الكثير من هذه المخطوطات ، ونشره للعديد من أمهات كتب التراث العربى الإسلامى بعد تحقيق مخطوطاتها تحقيقا علميا ، مما أدى للباحثين فرصة كبيرة ، وأدى للبحث العلمى خدمة جليلة .

٣–قاموا بترجمات شتى بلغات مختلفة للعديد من الكتب العربية الإسلامية .

٤–قاموا بإصدار ترجمات للقرآن الكريم ، وإن كانت للمسلمين بعض التحفظات على ما جاء في مقدمات الكثير من هذه الترجمات والتعليقات التى صحبت هذه الترجمات .

٥–أضاف المستشرقون لذلك كله ما قدَّموه من دراسات عديدة في جميع مجالات العلوم العربية والإسلامية ، فقد قدموا إنتاجا غزيرا بلغ حسب بعض الإحصائيات ستين ألف كتاب منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين .

ومما يُذكر للمستشرقين أيضا بالتقدير تلك المراجع الهامة التى أدت ولا زالت تؤدى خدمات جليلة للباحثين ، مثل كتاب بروكلمان [٢] (تاريخ الأدب

بأسعار بخسة ، ولعلكم تعلمون قصة ذلك التاجر الإيطالى الذى كان فى صنعاء يبيع الناس الأقمشة والرز والسكر ويرفض أخذ النقد الدارج عندهم ، كان يطلب منهم أن يحضروا له كتبا ، والكتب كانت كلها مخطوطة ، فجمع ما يقرب من ستة آلاف مخطوط ، كما قيل ، وحملها معه إلى الفاتيكان ، والفاتيكان أهداها إلى مكتبة مشهورة فى ميلانو ، اسمها (الأمبروزيانا) ، وأنا ذهبت إلى هذه المكتبة ، وبقيت فيها شهرا ، ووضعت فهرسا لقسم من هذه المخطوطات اليمنية) . انظر : عرفان نظام الدين ، صلاح الدين المنجد كما عرفته ص ٢٥، ضمن مقالات ودراسات مهداة إلى الدكتور صلاح الدين المنجد، مصدر سابق .

(١)يراجع في جهود المستشرقين الفرنسيين التى بذلت حول المخطوطات العربية ، د/ محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص ٦١ وما بعدها ، عالم المعرفة – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، نوفمبر ١٩٩٢م ، وحول دراسات الألمان يراجع كتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية – دار الكتاب الجديد – بيروت لبنان ط١ سنة ١٩٨٧م .

(٢) كارل بروكلمان ، ولد فى روستوك ، وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه ، وطارت

العربى) ، ودائرة المعارف الإسلامية ، وإن كان للمسلمين عليها بعض المآخذ.

وللمستشرقين كذلك جهود مشكورة في مجال المعاجم والقواميس اللغوية . ونخص هنا بالذكر :المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، الذى أشرف على إخراجه الأستاذ / فينسنك [١]، والذى تفيد منه الجامعات والمعاهد الإسلامية في العالم الإسلامى والعربى .

كل هذه أمور إيجابية تُذكر بالتقدير للمستشرقين .[٢].

٦-وقد امتلك بعضهم من الشجاعة الأدبية ما جعلهم يتوفرون على نشر كتب ونصوص جدلية كلامية وفلسفية تنتقد دياناتهم ومذاهبهم ، بل ويترجمونها إلى بعض لغاتهم ، ويشيدون بها في بعض الأحيان . [٣]

له شهرة فى فقه العربية وقراءتها قراءة صحيحة وكتابتها كتابة سليمة ، حتى عُد إماما من أئمتها ، وعين أستاذا لها فى جامعات : برسلاو (١٨٩٣- ١٩٠٣م) وكونسبرج (١٩٠٣- ١٩٠٩م) وهاله (١٩٠٩ – ١٩٢٠ م) وبرلين (١٩٢٠ – ١٩٢١م) ، وانتخب عضوا فى مجامع برلين ، وليبزيج ، وبودابشت ، وبن ، ودمشق ، وجمعيات آسيوية كثيرة ، اشتهر بغزارة إنتاجه الذى اتصف بالموضوعية والعمق والشمول والجدة ، مما جعله مرجعا للمصنفين فى التاريخ الإسلامى والأدب العربى ، ومن آثاره : العلاقة بين كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبرى ، وهى رسالة الدكتوراه له ، وتراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق للمغازى ، وديوان لبيد ، وتاريخ الآداب العربية فى مجلدين ثم أردفه بتكملة ثلاثة أجزاء ، وقد عرض فى هذا التاريخ الجسيم النفيس تراجم العلماء والأدباء فى العصور الإسلامية جمعاء ، وذيّل كل ترجمة بمصادرها ووصف الكتب وميزاتها وتاريخ طبعها ومكانها فى الشرق والغرب ، وأحصى المخطوطات فى مكتبات أوربا ، فجاء نموذجا فى ترتيبه وسعته ودقته ، كدائرة معارف للأعلام الإسلامية والعربية والمكتبة الشرقية لمؤرخى الآداب العربية خلال الخمسين سنة الأخيرة ، وقد نقل منه ثلاثة مجلدات إلى العربية الدكتور / عبد الحليم النجار ، ونشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، توفى سنة ١٩٥٦ م . انظر : العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٧٧٧- ٧٨٣، مصدر سابق .

(١) سبق ترجمته .

(٢) د/ محمود حمدى زقزوق ، الإسلام في تصورات الغرب ص ١٠، ١١، مصدر سابق .

(٣) وبين أيدينا نماذج كثيرة لذلك نذكر منها على سبيل المثال :

- نشرة روبير شدياق ، وترجمته لكتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) لأبى حامد الغزالى ، وكذلك ترجمة فرنزو ألمز للكتاب ذاته .
- نشرة يوشع فنكل وترجمته لرسالة الجاحظ المسماة (المختار في الرد على النصارى).

وهكذا فإن للاستشراق وجها مضيئا، وجوانب إيجابية متعددة، لا يصح بحال إغفالها، ولا يجب أن نولى ظهورنا عنها، وهذا ما تقتضيه طرائق المنهج العلمى السليم والأمانة العلمية.

وقد قام د/ محمود الطناحى [1]، بعمل إحصاء دقيق للمستشرقين الذين قاموا على تحقيق النصوص ونشره بحسب بلدانهم [2] ، وقد استفاد الباحثون العرب من أعمال المستشرقين فى تحقيق المخطوطات .

- تحقيق آسين بلاسييوس وترجمته لكتاب (الفصل لابن حزم).
- ترجمة موشى برلمان وتحقيقه لكتاب (السيف المحدود في الرد على اليهود) للمهتدى عبد الحق الإسلامى . وكذلك لكتب (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث) .
- ومسالك النظر في نبوة سيد البشر للمهتدى سعيد بن حسن الإسكندرانى ، نشره وترجمه / سدنى أدمز وستون.
- الرد على النصارى لعلى بن ربى الطبرى ، حققه وترجمه كوتس .
- رد ابن تيمية على رسالة بولس الراهب ، وكذلك كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للمستشرقين : توماس راف ووبول حورى وماتيو . انظر : د/ محمد عبد الله الشرقاوى ، في الفكر الإسلامى المعاصر – الاستشراق دراسات تحليلية تقويمية ص ٥ ، ٦ والكتاب بدون أى بيانات .

(١) العالم الأديب الأريب الدكتور / محمود محمد الطناحى ، من مواليد محافظة المنوفية سنة ١٩٣٥م ، وانتقل إلى القاهرة وتخرج من كلية دار العلوم وحصل على الدكتوراه منها (قسم النحو والصرف والعروض) عام ١٩٧٨م ، عُين خبيرا بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، وانتدب أستاذا مشاركا بقسم الدراسات العليا العربية بكلية الشريعة – جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة – كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى الآن حتى استقال منها عام ١٩٨٩ م ، وعُين أستاذا مساعدا بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة القاهرة – فرع الفيوم ، ثم رُقى أستاذا بتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٩٥م ، وعمل أستاذا بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة حلوان ، وعمل خبيرا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وبمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ، وعضوا بالهيئة المشتركة لخدمة التراث العربى (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – معهد إحياء المخطوطات العربية) ، توفى سنة ١٩٩٩م . انظر : مقالات العلامة الدكتور / محمود محمد الطناحى– القسم الأول ص ٢٢– ٢٩ ، دار البشائر الإسلامية –بيروت – لبنان ، ط ١سنة ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م ، وهذه المقالات جمعها ولده البار محمد وأعانه آخرون .

(٢) د/ محمود محمد الطناحى ، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، من ٢٣١ : ٢٧٣، مكتبة الخانجى بالقاهرة ط١ سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، ويراجع في ذلك : د / على إبراهيم النملة ، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربى الإسلامى دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ط١ سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، وأيضا : د/ عبد العظيم الديب ، المستشرقون والتراث ، دار الوفاء –المنصورة ط٣ سنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م .

يقول الدكتور/ صلاح الدين المنجد [١] :(شاء العرب أن يحذو حذو المستشرقين فى تحقيق النصوص ، فنجح أناس أوتوا العلم والمنهج العلمى ، وأخفق آخرون أعوزهم المنهج الذى ينبغى اتباعه فى النشر ، وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشره المستشرقون واتخذوه هزوا)، (ومن الإنصاف أن نقرر أن المستشرقين كان لهم فضل السبق فى نشر تراثنا العربى ، منذ القرن الماضى ، وأنهم أول من نبَّهنا إلى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا ، وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها). [٢]

ملاحظات حول نشر المستشرقين لكتب التراث وتحقيق المخطوطات :

للباحث ثمة ملاحظات حول نشر المستشرقين لتراثنا والعناية به ، قد لا يأبه بها ثلة من المعجبين بالمستشرقين من هذا الجانب ، فيغفلون عن أمور متعددة ، ذات أهمية قصوى ، ويشير إليها – مختصرة – فيما يلى :

١-إننا عندما نذكر جهود المستشرقين في هذا المجال(بالحمد والثناء ، والرضى والإعجاب، لابد أن نذكرها أيضا بشعور قوى من الاعتزاز والشموخ بتراثنا العظيم ، الذى شغل القوم ، وملأ أيامهم ، فلو لم يجدوا فيه نفعا وغناء لصنع حضارتهم ، لم يصرفوا إليه كل هذه العناية ، التى تمثلت في جمع المخطوطات العربية ، وصيانتها ، وفهرستها، والتعريف بها ، ثم درسها وتحقيقها ، ونشرها ، وقد أنشأوا لذلك المؤسسات الخاصة والحكومية ، وجعلوا للتراث العربى ، في الدرس الجامعى مكانا جليلا ، فأنشأوا له الكراسى الجامعية ، وتضافرت جهودهم ، من مختلف جنسياتهم ، على نشر الموسوعات التراثية ، وعقد المؤتمرات ، وإصدار المجلات ، ودوائر المعارف، وتوثيق العلاقات بالعلماء العرب في كل مكان.

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) د/ صلاح الدين المنجد ، قواعد تحقيق المخطوطات ص ٧، دار الكتاب الجديد ، بيروت –لبنان ط٧ سنة ١٩٨٧م.

نذكر ذلك كله ، مدركين مداه وجدواه ، لكن بعض إخواننا من العرب قد غالى في تقدير ذلك الجهد ، الذى بذله المستشرقون ، وأسرف في ذلك إسرافا، حين رد كل فضل في نشر التراث العربى إلى المستشرقين ، وجعلنا نحن العرب في موقف المتلقى المحاكى فقط ، وهذا كلام من لا يعرف حقيقة الأمور ، وكلام من يجهل تاريخ أمته ، وتاريخ علمائها ورجالها). (١)

٢-لم تحظ فنون التراث بقدر متساو ، في النشر عندهم ، وقد دارت معظم النصوص التى نشروها حول التاريخ ، والبلدان ، والجغرافيا ، وكتب التراجم والطبقات ، والأدب ، ودواوين الشعر – وبخاصة الجاهلى – والمجموعات الشعرية الخاصة.

ومن النصوص التى حظيت باهتمامهم أيضا : نصوص الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفرق ، والمذاهب الفكرية ، وتراث العرب العلمى التطبيقى ، مثل : الطب، والكيمياء ، والفلاحة ، والحساب والجبر والهندسة ، والفلك ، والبصريات.

وهناك فنون قلّ إنتاجهم فيها : مثل النحو والصرف ، والبلاغة ، والعروض، وإن نشروا في ذلك نصوصا أصيلة ، كذلك قلّ إنتاجهم في تحقيق فقه المذاهب الأربعة ، وأصول الفقه.

أما تفاسير القرآن الكريم ، ومتون الأحاديث وشروحها ، فإن نشاطهم في تحقيق نصوصهما لا يكاد يذكر ....أما الدراسات والفهارس لهذين العلمين الجليلين ، فقد مد المستشرقون فيهما يدا). (٢)

٣-من الشرقيين من شارك المستشرقين ، حيث استعان المستشرقون في بناء

---

(١) د/ محمود محمد الطناحى ، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى مع محاضرة عن التصحيف والتحريف ص ٢٧٣ ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ط١ سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

(٢) د/ محمود الطناحى ، مدخل إلى تاريخ التراث العربى ص ٢١٧-٢١٨ ، باختصار يسير، مصدر سابق .

الصرح العلمى لهم في تحقيق المخطوطات وكتب التراث (بالعلماء العرب والمسلمين ، فلازموهم وأخذوا منهم واستفادوا ، وأفادوهم) . [١] .

هذا إلى طبقات النسّاخ المجيدين ، الذين كان المستشرقون ، يستعينون بهم في نقل المخطوطات ، وللمستشرقين حسّ دقيق في الوقوع على هؤلاء النسّاخ المجيدين ، وكانوا يبذلون لهم في سخاء.

يقول الدكتور/ محمود محمد الطناحى [٢]عن نفسه :(وقد كنت واحدا من هؤلاء الذين استعان بهم المستشرقون ، في نسخ المخطوطات ، ثم في قراءتها ، وتحريرها ، وصنع فهارسها ، وتصحيح تجارب طبعه) .[٣]

ويكفى أن تعلم أن (أول مجلة إخصائية للاستشراق في أوربا (صندوق الكنوز الشرقية) ، كان يكتب فيها معظم المستشرقين الأوروبيين ، بالإضافة إلى العلماء الشرقيين) [٤].

٤-وفوق ذلك لا بد من التأكيد على أن تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربى أصيل ، يتجلى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ في دقة وأمانة ونظام بارع ، ولكن المستشرقين تبنوّا إحياء هذا الفن في هذه العصور القريبة [٥]

إن هذه الأمور السابقة لا بد وأن تكون نصب أعين من يهوى بأفئدته إلى أعمال المستشرقين ، لئلا ينسى أن ثمة جوانب في التراث قد أغفلت ، وثمة باحثين مسلمين قد شاركوهم العمل والبحث والتدقيق ، كما ينظر إلى تراثنا

---

(١) د/ على النملة ، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربى ص ٢٥ باختصار ، مصدر سابق ، ومنهم على سبيل التمثيل لا الحصر: أحمد تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا ، والشيخ طاهر الجزائرى ، وفؤاد سيد ، وحمد الجاسر ، وصلاح الدين المنجد ، وإحسان عباس . انظر : نفس المصدر السابق من نفس الوضع .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) مدخل إلى تاريخ التراث العربى ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤، باختصار يسير ، مصدر سابق .

(٤) جوزيف شاخت و كليفورد بوزورث ، تراث الإسلام ١/ ٦٤، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب – الكويت رقم ١٩٨٥ م – ترجمة : د/ محمد رهير السمهورى ، د/ حسين مؤنس ، د/ إحسان صدقى العمد .

(٥) د/ يجيى مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، ص ١١٢، والكتاب بدون أى بيانات .

نظرة كلها إعجاب واعتزاز أنه شغل فئات من الغرب ، فقاموا على قراءته واستحسانه وتكريس أوقات له .

كذلك من إيجابيات الاستشراق أنه :

١-ساعد فى تطوير منهج نقدى للبحث فى التراث الإسلامى نتج عنه إيقاظ الوعى المنهجى لدى المسلمين الذين دفعهم هذا إلى النظر فى الأصول المنهجية والمبادئ البحثية فى الكتابات الإسلامية الأولى من أجل تأصيل منهج إسلامى ينافس المنهج الاستشراقى ، وقد ساعد هذا الاهتمام المنهجى فى الوصول إلى معرفة إسلامية جديدة وقراءة التراث الإسلامى قراءة تحليلية نافعة .

٢-للاستشراق دوره فى تحديد مكانة التراث الإسلامى بين تراث الشعوب الأخرى ، وذلك لاهتمامهم بالمنهج المقارن بين الإسلام والأديان الأخرى وبخاصة اليهودية والنصرانية . كما ساعدوا على تحديد مكانة الفكر الإسلامى العالمية كفكر عالمى منافس للحضارات والثقافات الأخرى ، وبينوا أيضا فضل الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى .

٣-ساعد الاستشراق فى تعريف الغرب بالإسلام وحضارته وبالتراث العلمى للمسلمين من خلال ترجمة مئات الأعمال الإسلامية الهامة إلى اللغات الأوروبية، خاصة وأن المسلمين لم يهتموا بترجمة تراثهم وتعريف الآخرين به ، وتركوا مهمة الترجمة للمستشرقين .

٤-اهتم الاستشراق بدراسة واقع العالم الإسلامى مما شجع المسلمين على دراسة أوضاعهم بأنفسهم ، والاهتمام بواقعهم ، وحل المشاكل المختلفة التى تواجههم . وقد وجّه الاستشراق أنظار المسلمين إلى مواطن الضعف والقصور فى حياتهم ومجتمعاتهم من خلال الدراسات الاستشراقية التحليلية للمجتمعات الإسلامية ، وللحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة ، الأمر الذى دفع العلماء المسلمين إلى محاولة بلورة فكر إسلامى أصيل ومعاصر

للرد على آراء المستشرقين ولعلاج مشاكل مجتمعاتهم المعاصرة .

٥-دفع الاستشراق المسلمين إلى ضرورة تطوير نظامهم التعليمى والعلمى مما أدى إلى ظهور نظم تعليمية وتربوية جديدة تعتمد على الوسائل العلمية الحديثة فى الكشف عن الفكر الإسلامى وتفسيره وتدريسه ، وأصبحت الجامعات الإسلامية تتساوى فى مناهجها وأساليبها العلمية مع الجامعات الغربية دون أن تضحى بشخصيتها الإسلامية وبقيمها الدينية ، بل وسعت جاهدة إلى تأصيل العلوم وربطها بالتراث الإسلامى ، وتوجيهها إسلاميا [١].

٦-دفعت أبحاث المنصفين من المستشرقين إلى أن كثيرا من الغربيين دخلوا فى الدين الإسلامى أفواجا ، فنحن بين حين وآخر نسمع عن أحد مشاهيرهم يؤب إلى فطرته السليمة فيعلن اعتناقه للإسلام فى مفاجأة تدخل السرور فى قلوب المسلمين .

كذلك ولّد جماعات أخرى إن لم تعتنق الإسلام دينا إلا أنها معجبة به ، كثيرة الثناء عليه ، ظاهر على أبحاثهم الإنصاف والنزاهة ، ولا شك أن هؤلاء درعا للمسلمين عندما يستشهدون بكتاباتهم المنصفة ضد المتعصبين من المستشرقين ، فيضربون كلامهم بعضه ببعض .

كما أن تلك الفئة المنصفة إنما هى خنجر مسموم فى ظهر الغرب لأنها شهادة للإسلام وحضارته من نفر لم يعتنقوه ، ولم يدينوا به .

حتى لو وجدنا منهم من تعصب ضد الدين فلا يحق لنا نكران فضله في الجانب الآخر .

---

(١) د / محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية ص ١٣٧، ١٣٨ ، دار عين للدراسات والبحوث النفسية والاجتماعية ط ١ سنة ١٩٩٧م .

المطلب الخامس

خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التفاهم بين الغرب والشرق

قرأت على صفحات جريدة الأزهر[١] الغراء أن المؤرخ الأمريكى (ول ديورانت) [٢] (سجّل عدد سنوات الحرب التى خاضتها البشرية فوق هذه الأرض فوجدها ٣٤٢١ عاما ، بينما لم تزد سنوات السلام والهدنة عن ٢٦٨ عاما . إذن لم تتمتع الإنسانية إلا بسنة واحدة سلاما كل اثنى عشر سنة حربا وصراعا) .

وفى واقعنا المعاصر: هناك نزعات كثيرة في الغرب تدعو إلى الصراع بين المسلمين والغرب ، بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ، بل إن منهم من صنّف كتبا في صراع الحضارات ، واعتبار أن الإسلام خطر عظيم على مصالح الدول الأوروبية بل على حياتهم ، وأنه منبع للإرهاب ، وأساس للتطرف ، ومن ثمّ فإنه (لا شك في أن تقويم الظاهرة الاستشراقية تقويما منصفا دقيقا يعد خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التفاهم بين الشرق والغرب ، ذلك التفاهم الذى ما يزال يفتقد الأجواء المناسبة لتحقيقه) .[٣]

ما أسهل أن يركب الباحث موجة التعصب الأعمى ضد المستشرقين أجمع ، فيكيل لهم الاتهامات كيلا ، ويغمطهم حقوقهم غمطا ، وهو يعتقد بهذا أنه سوف ينجو من أحد سوف يشهّر به أو أحدا سوف يتهمه في دينه أو معتقده ، لكن هذا التعصب الأعمى لن يفيد قضية الإسلام العادلة شيئا ، ولن يفيد الإسلام في

---

(١) عدد شوال ١٤٢١ هـ- سبتمبر ٢٠١١م ، ص ٧١٢ .

(٢) مرب ومؤلف أمريكى ، يُعتبر أحد أبرز الكتّاب الذين وقفوا جهودهم على تبسيط التاريخ والفلسفة . أشهر آثاره : الفلسفة والمشكلة الاجتماعية ، وقصة الفلسفة ، وقصة الحضارة فى عشرة مجلدات ، توفى سنة ١٩٨١م .
انظر : أ/ منير البعلبكى ، معجم أعلام المورد ص ١٩٨ ، حرف الدال ، إعداد الدكتور / رمزى البعلبكى ، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان – ط١ سنة ١٩٩٢م .

(٣) د/ إسماعيل أحمد عمايرة ، الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية ، ص ٨٦ ، دار حزين – عمان ط ٢ سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

البيئات الغربية بشئ ، بقدر ما هو سوف يستزيد من بواعث الضغينة ، ويعزز من كوامن الكراهية ، ويقلّل من عوامل الالتقاء وأواصر الزلفى ، ويساعد في ترسّخ الهوّة السحيقة بين الشرق والغرب .

ملاك القول : أنه لن يفيد الإسلام في شئ ، ولن يساعد فى انتشاره في الدول الغربية.

يقول الدكتور/على النملة – حفظه الله – [١] : (هذه الموجة وهذا المركب لا يخدمان الثقافة الإسلامية في مجال انتشارها في البيئة الغربية التى نشأ بها المستشرقون ، وفى مجال نشر الثقافة الإسلامية في الغرب وفى غيره ، هذه الثقافة التى نعتقد أن العالم يظل بحاجة إليها ، ذلك أن ردّ الفعل الاستشراقى تجاه هذه المواقف السلبية سيكون سلبيا ، ويوصّد الباب أمام بحوث متجردة عن الهوى ، تكون مستقلة عن أى نوازع دينية أو سياسية أو استعمارية). [٢]

لكن : الغريب حقا – كما قال الدكتور/ الطيباوى [٣] : (أن يكون المستشرقون بهذه الغفلة والطيش عن نتائج تشويههم وبدعتهم ، ثم أنهم لا يدركون أنهم بهذا الأسلوب لا يشجعون على التعاون العلمى ، ولا يعملون على تقوية الروابط الإنسانية الطبيعية) . (٤)

بل على العكس تماما ، فإن بعض بحوث المستشرقين تؤجج نار الفتنة وتوقد لهيب العداوة بين الشرق والغرب ، وهم لا يدرون أنهم لا يحسنون صنعا ، على الرغم من أنه كان الأمل قويا في أن تكون كتاباتهم (قنطرة بين الشرق والغرب ، وأنهم سيملئون هذه الفجوة الواسعة الظالمة بين الأسرتين الشقيقتين ، ويرفعون الجفوة التى أنشأها الجهل والبُعد بين أعضائها ، وينقلون أفضل ما عند الشرق

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) د/ على إبراهيم النملة ، نقد العقل المعاصر ، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق فيها ، ص ٣٣ ، دار الفكر – دمشق ط ١ سنة ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) د/عبد اللطيف الطيباوى ، المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية دراسة نقدية ، ص ٨٩ ، مصدر سابق .

من تعاليم النبوة ومبادئ الأخلاق). [١]

لكن فى الحقيقة لقد (تقاصر الاستشراق – على فضله الكبير ومآثره الكثيرة – عن أن يملأ هذا الفراغ ، ويُقدِّم إلى الغرب – الذى كثُر فيه الباحثون عن الحقيقة والمُتبِّرمون من المادية العادية الجافة في العصر الأخير – صورة صحيحة وضَّاءة مشرقة للأديان الشرقية عموما ، والدين الإسلامى بصفة خاصة الذى يعتبره المسلمون الرسالة السماوية الخالدة ، التى بلغت فيها تعاليم النبوة وتوجيهات السماء طورها الأخير النهائى ، والتى توافق طبيعة هذا العصر ، ولا تسير بالمدنية إلى الوراء كما يظهر في بعض الديانات) [٢]المحرفة .

والمطالب من المستشرقين بسيطة لا كثيرة ، فلا أحد يطلب منهم (أن يكونوا عربا أكثر من العرب ، أو شرقيين أكثر من الشرقيين ، أو مسلمين أكثر من المسلمين .

إننا نعرف أنهم تربوا على ثقافة معينة وأن بعضهم عنده خلفيات فكرية معينة ، وإن علينا أن نحترم ونقدر ما عندهم كما إن عليهم أن يحترموا ويقدروا ما عندنا .

إننا لا نطلب بالضرورة أن ينحازوا إلى قضايانا ، ولكننا نريد الفهم والعرض الموضوعيين والمنصفين ، لخدمة الحقيقة أولا وخدمة التقارب بين الشعوب ثانيا). [٣]

وقد ألقى ولىّ عهد بريطانيا في ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م في أكسفورد في زيارته لمركز الدراسات الإسلامية محاضرة تاريخية في غاية الأهمية أكد فيها أن (الذى يربط العالمين الغربى والإسلامى) أقوى بكثير من الذى يقسمها ، فالمسلمون واليهود والمسيحيون جميعا أصحاب كتاب ... إننا نشترك في كثير من القيم) .

---

(١) الإمام أبو الحسن الندوى ، حديث مع الغرب ص ١٨ – المختار الإسلامى بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٢)الإمام أبو الحسن الندوى ، حديث مع الغرب ، ص ١٩، مصدر سابق .

(٣)أ / هاشم الأيوبى ، مع فولفديتريش فيشر فى رحلة ربع قرن ، ص ٨ ، أبحاث عربية فى الكتاب التكريمى للمستشرق الألمانى فولفديتريش فيشر ، إعداد وإصدار / هاشم إسماعيل الأيوبى ، ط١ سنة ١٩٩٤م .

(١)

فلمَ الدماء التى تسيل قطرات على أى موضع وضعت عليه يدك فى الخريطة ؟ ، لمَ العدوان الكائن على الأقليات المسلمة هنا وهناك ؟!!!.

ولكن ما زال هناك أمل فى المستشرقين المنصفين أن يزيلوا ما تراكم على الإسلام من صورة داكنة فى بلدانهم.

المطلب السادس

اختلاف أصنافهم ومدارسهم وأيديولوجياتهم

الاستشراق له مدارسه المتعددة ، ولكل مدرسة ممثلين لها ، ولا شك في أن لكل مدرسة منهجا ومنزعا وطريقا ووسيلة في البحث والمعالجة ، بل وفي الحكم . ولهذا فإننا سوف نجد مدارس بعينها قد قلّ تعصب مستشرقيها نحو الإسلام .

فمثلا يقول الدكتور/ صلاح الدين المنجد عن بعض مزايا الاستشراق الألمانى وقد كان صديقا لعدد كبير من المستشرقين الألمان ، وعرف معظمهم شخصيا ، شيوخهم وشبابهم ، وزار بعض جامعات ألمانيا ، وألقى فيها محاضرات مختلفة ، ونقل الكثير من كتب المستشرقين الألمان إلى العربية :

- (لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية : كالاستشراق في بلدان أوروبية أخرى ، فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية ، ولم تهتم بنشر الدين المسيحى في الشرق ، لذلك لم تؤثر تلك الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان ، وظلت محافظة – على الأغلب – على التجرد ، والروح العلمية .

وإذا ظهر في بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية بعض الانحراف في الرأى ، أو الخطأ ، فهذا أمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها .

---

(١) د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، حوار الحضارات بين الشرق والغرب ص ٤١-٤٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ٢ ، عدد جمادى الأولى ١٤٣٣هـ- أبريل ٢٠١٢م .

- لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية – العربية ، متصفة – على الأغلب ، بروح عدائية ، نعم ، لقد وجد بعض المستشرقين الذين أتوا بآراء لا توافق العرب والمسلمين ، أو بآراء خاطئة تماما، كبعض آراء (نولدكه) توفى سنة ١٩٣٠ م [١]، عن الشعر الجاهلى والقرآن الكريم ، أو آراء فوللرز (١٨٨٠ م) [٢]عن القرآن وتهذيبه ، لكن هذه الآراء معدودة ، فالاستشراق الألمانى لم يعرف مستشرقين جعلوا ديدنهم عداء العرب والإسلام ، وتعمدوا الدس والتشويه في دراساتهم ، بل بالعكس ، رافقت دراساتهم روح وإعجاب وتقدير وإنصاف) . [٣]

الميول الإنسانية لدى المستشرقين .

كذلك لم يكن المستشرقون في يوم ما صنفا من الملائكة وهم بعد هذا بشر ، (ولكل منهم اعتقاده العرقى والدينى أو السياسى أو الإنسانى ، أو أن منهم من يخلو من كل ذلك ، وأن منهم الرأسمالى ، وأن منهم الشيوعى ، وأن منهم الاشتراكى ... وأن منهم من يكره اليهود فبذل جهده في الدفاع عن العرب ...إن كل هذه الميول إنما هى ميول إنسانية لا تقتصر على جنس من الأجناس أو عرق من البشر ، وهى بعد ذلك توكيد على أنهم بشر خاضعون لشتى النزعات البشرية .

وكل هذه الميول تظهر بشدة أو بخفوت تبعا لهذه النزعات النفسية في

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) بدأ العربية فى ألمانيا ، ثم قضى ثلاث سنوات فى باريس يتعلم العربية والفارسية ، وغادرها إلى هاله حيث أحرز لقب دكتور فى الفلسفة سنة ١٨٣٠م ، ثم عاد إلى برلين لتدريس اللغات الشرقية فى جامعتها ، توفى سنة ١٨٨٠م . انظر: العقيقى ،المستشرقون ١/ ٧٠٤، مصدر سابق.

(٣) د/ صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ص ٧، ٨ ، دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٨م ، ووجدت الدكتور / منذر معاليقى يردد نفس كلام د/صلاح الدين المنجد . وذلك في كتابه (الاستشراق في الميزان ، ص ١٣٥ – ١٣٦) ط المكتب الإسلامى – بيروت ط ١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

كتاباتهم أو محاضراتهم المنشورة أو غير المنشورة) .[١]

أيضا نحن أمام مجموعة من البشر ، (تشبعوا بجميع الصفات البشرية التى نراها في الواقع الإنسانى ، من البخل والكرم ، والضعف والقوة ، والجبن والشجاعة ، والغباء والذكاء ، والكره والحب ، والانطواء والاجتماع وهكذا ، ومن ثَم نرى أن مؤلفاتهم انعكاسا حقيقيا ، وتعبيرا صادقا ، وصورة واقعية لجملة هذه الصفات ، ولذلك رأينا هذا التفاوت من حيث كَمّ الإنتاج العلمى ونوعيته ، والتباين من حيث الوقفة الموضوعية ، والتفاوت في النظرات التحليلية ، والاختلاف في المنهج المعتمد ، والمهارة في الاستنباط والاستنتاج) .[٢]

نعم ، إن هذه الفروق الفردية ، وتلك الميول البشرية ، ومدارسهم المتنوعة ، وبيئاتهم المختلفة ، وأيديولوجياتهم المتعددة ، والتفاوت فيما بينهم فى نظراتهم التحليلية ، واستنباطاتهم العلمية ، تبين لنا– بحق – تباين مواقف الباحثين من المستشرقين من الإسلام وحضارته .

فصاروا – لدى باحثينا العرب – من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين :

١–إلى طبقتين ، كما صنّفهم الأستاذ / مالك بن نبى [٣]: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية ، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها .

٢– أمّا الأستاذ الفاضل / محمود شاكر[٤]، فإنه قسمهم إلى ثلاث فئات : فئة المتعصبين الذين تعلموا العربية في الكنائس لخدمة التبشير، وهم الأصل ، وفئة المستشرقين الذين يخدمون السياسة الاستعمارية في الشرق العربى، وفئة

---

(١) د/ قاسم السامرائى ، الاستشراق بين الموضوعية و الافتعالية ص ١٣٩ ، ١٤٠ باختصار ،مصدر سابق .

(٢)د/ محمد عبد الرحيم الزينى ، الاستشراق اليهودى رؤية موضوعية ص ٣٢٣ ، دار اليقين – المنصورة – مصر ط١ سنة ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م .

(٣) مالك بن نبى ، إنتاج المستشرقين ص ٥، ٦ ، مصدر سابق .

(٤) سبق ترجمته .

العلماء الذين يُظن أنهم تجردوا من الغرضين جميعا [١].

٣- وقام الدكتور/ محمد رأفت سعيد [٢]، بتصنيفهم إلى ثلاثة أصناف أيضا ولكن على النحو التالى :

١-طائفة مهتدية ، درست علوم الإسلام دراسة دقيقة مستوعبة ، وفتحت قلبها ، وشرح الله صدرها للإسلام فأسلمت ، ومن أمثال هؤلاء الأستاذ / محمد أسد [٣]، ومريم الجميلة [٤] التى أحسنت في كتاباتها عن الإسلام .

٢-طائفة منصفة ، اكتفت بالوصف الموضوعى لحقائق الإسلام ، فلم تغير ولم تحرف، ولكنها لم تفتح قلبها لتنتفع بما درست .

---

(١) د/ عادل سليمان جمال ، جمهرة مقالات الأستاذ / محمود محمد شاكر ، ١/ ١٢٦ ، مكتبة الخانجى – القاهرة بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٢) أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة المنوفية ، وعضو المجلس الأعلى الشئون الإسلامية ت٢٠٠٤م .

(٣)اليهودي الأصل (ليوبولد فايس) الشهير بعد إسلامه بمحمد أسد ولد في الإمبراطورية النمساوية الهنجارية وتوفى في إسبانيا ١٣١٨ – ١٤١٢ = ١٩٠٠ –١٩٩٢ م ، وله مؤلفه الشهير: الطريق إلى مكة الذي صدر عام ١٩٥٣م ، الذى يعتبر من أروع الأعمال الأدبية والفكرية التى جاد بها هذا القرن . وهو كاتب وصحفي ومفكر ولغوي وناقد اجتماعي ومصلح ومترجم ودبلوماسي . انظر فى ترجمته: أ / محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام للزركلى ٢/ ١٢٤ – ١٢٥، دار ابن حزم ط٢ سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م ، وانظر : العقيقى ، المستشرقون ١/ ٦٤٢، مصدر سابق ، وانظر : أ / الحسينى الحسينى معدى ، علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا ، ص ٧٨ دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط١ سنة ٢٠٠٦م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٤)الكاتبة مريم جميلة (مارغريت ماركوس) أمريكية من أصل يهودي ، وضعت كتباً منها الإسلام في مواجهة الغرب ، ورحلتي من الكفر إلى الإيمان و الإسلام والتجدد و الإسلام في النظرية والتطبيق . تقول : "لقد وضع الإسلام حلولاً لكل مشكلاتي وتساؤلاتي الحائرة حول الموت والحياة ...وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق ، وهو أنجع علاج للنفس الإنسانية". "منذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب ، بل هو الحياة بعينها ، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم". "كيف يمكن الدخول إلى القرآن الكريم إلا من خلال السنة النبوية ؟! فمن يكفر بالسنة لا بد أنه سيكفر بالقرآن" . "على النساء المسلمات أن يعرفن نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي جاءت أحكامه صائنة لحرماتهن ، راعية لكرامتهن ، محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك ومن ضياع الأسرة" .انظر: أ/ الحسينى الحسينى معدى ، علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا ، ص ٢١٦ مصدر سابق .

٣–طائفة مغرضة،وهى التى ظلت في فلك التنصير والاستعمار، وهذه هى الطائفة الخبيثة(١).

٤–ولعل رأى العقيقى (٢)في تصنيفه للمستشرقين أكثر شمولا ، وأوسع عمقا، حيث إنه قام بتقسيمهم إلى الفئات الآتية :

الفئة الأولى : فئة من طلاب الأساطير والغرائب ، ولم تكن حقا من العلم في شئ ، فانقرضت بانقراض العصور الأولى .

الفئة الثانية :من المرتزقة الذين وضعوا أقلامهم في خدمة مصالح بلدانهم الاقتصادية والسياسية والاستعمارية .

الفئة الثالثة : من المتغطرسة الذين أعمتهم الضلالة عن الموضوعية . وجميع مصنفات هذه الفئات لا قيمة علمية لها .

الفئة الرابعة : تعرضت للإسلام دون أن تقصد الطعن عليه ، وإنما درسته دراستها كتبها الدينية ، فقد درج العلماء وفيهم الرهبان على نقد الكتاب المقدس.

الفئة الخامسة : أنصفت الإسلام وإن لم تدن به ، قولا وعملا وكتابة ، فلم يؤخذ عليها هفوة

على كل ما دبّجته فيه ، ومنها من ذهب به إخلاصه إلى اعتناقه .(٣)

٥–وهناك تقاسيم أخرى للاستشراق من ناحية أن له :

- **ثلاثة مستويات :**
- معتدل في رؤيته وهو الجامعى الأكاديمى .
- يتوسط بينهما .

---

(١) د/ محمد رأفت سعيد ، الإسلام في مواجهة التحديات ص ٥٢، ٥٣ باختصار ، دار الوفاء – المنصورة – القاهرة ط١ سنة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) العقيقى ، المستشرقون ٣/ ١١٦٠ –١١٦١ باختصار كبير ، مصدر سابق .

- متطرف وهم الذين نبتوا في حضن الاستعمار.[١]

- **أو ثلاثة تيارات :**

- تيار نقص : يقوم على الشعور بتفوق الغرب واحتقار جميع الحضارات الأخرى .
- تيار رومانسى تغريبى : يستنشق بمتعة عبق الشرق ، ويزيد هذه المتعة فقر الشرق المتزايد.
- تيار علمى تخصصى اهتمامه الأساسى على ماضى الشرق .

- **أو تياران فقط :**

- تيار تقليدى : وهو الذى ساير الاستعمار وجعله أداته .
- تيار تجديدى .[٢]

- **أو هناك خمسة أنواع للاستشراق :**

- الاستشراق الجامعى .
- الاستشراق المسيحى الغربى أو الدينى .
- الاستشراق المُعلْمن المبطَّن .
- الاستشراق السياسى .[٣]

ومن أجل ذلك أفرط البعض في حب المستشرقين وفى الدفاع عن آرائهم ، وفى المقابل أفرط البعض في بغضهم ، وفى النيل منهم ، وتشويه كل ما كتبوه ، خيرا أو شرا ، وفريق ثالث توسط الفريقين ، فقبِل وردّ.

فلا يصح بحال – بعد تلك التصنيفات – أن نجعلهم فصيلا واحدا.

---

(١) د/ محمد إبراهيم افيومى ، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامى ص ٢٤ ، مصدر سابق .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥.

(٣) د/ محمد إبراهيم الفيومى ، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامى ص ٢٥ ، مصدر سابق .

المطلب السابع

لأنه رأى أكبر مؤسسة دينية في العالم الإسلامى (الأزهر الشريف)

يُعتبر الأزهر رائدا فى مجال الموضوعية والعدل فى الحكم على تراث المستشرقين، والموضوعية والوسطية ديدن الأزهر ، ومفخرة له ، على كرور العصور والدهور ، وهى التى ثبّتت من دعائمه ليظل شامخا بين أرجاء الأمة الإسلامية ، ورافعا راية الذود عن حياض الدين .

(إن عالم الاجتماع الفرنسى ((جوستاف لوبون) ((١٨٤١- ١٩٣١ م)) [١]الذى أنصف الحضارة العربية إنصافا عظيما في كتابه الفذ ((حضارة العرب))، والذى أساء فيه - في ذات الوقت – الحديث عن الجانب الدينى والغيبى ، جانب الوحى لرسول الإسلام- ﷺ – فانطلق في وصف هذا العامل – الذى هو المؤسس الحقيقى للحضارة الإسلامية ، والمميز الأول لها عن غيرها من الحضارات – انطلق جوستاف لوبون في وصفه لهذا الجانب من فلسفته الحسية الوضعية المادية ، معتبرا ذلك الوحى ((خيالات مرضية .. أو لونا من الهوس)) لازم كل الأنبياء والرسل على مر التاريخ).(٢)

ولقد كانت مجلة الأزهر في مقدمة المنابر الفكرية التى اتخذت هذا الموقف المتوازن من كتاب الدكتور جوستاف لوبون ، وذلك عندما رحبت بترجمة الكتاب ونشره ، لما فيه من إيجابيات ، رجحت وترجح ما فيه من سيئات وخطايا وسلبيات ، فقدمت النقد الفلسفى والعلمى الموضوعى للفلسفة الحسية المادية

---

(١) طبيب ومؤرخ عنى بالحضارة الشرقية ، ومن آثاره : الحضارة المصرية وقد عربه صادق رستم ، وكتاب : حضارة العرب وقد ترجمه الأستاذ / عادل زعيتر ، وكتاب : حضارة الإسلام فى الأندلس ، وقد عربه عبد الرحمن البرقوقى . انظر: العقيقى ، المستشرقون ١/ ٢٢٦ ، مصدر سابق .

(٢) في الرد على الماديين – دراسة نقدية لكتاب (حضارة العرب) للدكتور جوستاف لوبون ، للعلامة / محمد فريد وجدى – تقديم وتذييل د / محمد عمارة ص ١٢ هدية مجلة الأزهر الشريف جمادى الأولى سنة ١٤٣٤هـ – مارس ٢٠١٣م .

الوضعية التى جعلت الدكتور جوستاف لوبون يقع في هذه الخطيئة .

ولقد كانت الدراسة التى قدمها العلامة (محمد فريد وجدى (١٢٩٥ – ١٣٧٣هـ – ١٨٧٨ –١٩٥٤ م) [١] وكان حينئذ رئيسا لتحرير مجلة الأزهر ، عن كتاب (حضارة العرب) لجوستاف لوبون ، أوفى الدراسات التقويمية والنقدية التى نشرت عن هذا الكتاب ، عندما صدرت ترجمته العربية في طبعتها الأولى .. ولقد جاءت هذه الدراسة ضمن الفصول التى كتبها الأستاذ محمد فريد وجدى عن (السيرة المحمدية)، ونشرتها مجلة الأزهر بالمجلد السابع عشر ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م .

ومع تكرار طبعات هذا الكتاب في سنة ٢٠٠٠ م و ٢٠١٢م ، تجددت المواقف النقدية لما جاء فيه من خطايا وسلبيات .

- ففى سنة ٢٠٠٠ م ، وبتكليف من مجمع البحوث الإسلامية قدّم كاتب هذه الدراسة (هو الدكتور محمد عمارة) تقريرا عن هذا الكتاب ، نوقش في اجتماع مجلس المجمع المنعقد بتاريخ ٢٠٠٠/١١/٧م .
- كما قدّم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى [٢]– عن ذات الكتاب – تقريرا ثانيا نوقش في جلسة مجلس المجمع بتاريخ ٢٠٠١/٢/١١م .
- كما قام المرحوم الدكتور محمد رجب البيومى [٣] بكتابة تقرير لخّص فيه

---

(١) محمد فريد بن مصطفى وجدى ، مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء ، ولد ونشأ بالإسكندرية ، وأقام زمنا فى دمياط ، وكان أبوه وكيل محافظ فيها ، وانتقل معه إلى السويس ، فأصدر بها (مجلة الحياة) ، ونشر رسالة له سماها(الفلسفة الحقة فى بدائع الأكوان) ، ومن أنفس كتبه (كنز العلوم واللغة) و (الإسلام فى عصر العلم) مجلدان ، وتولى تحرير مجلة الأزهر نيفا وعشر سنين ، واعتزلها قبل وفاته بعامين ، وكان مترفعا عن غشيان المجالس العامة ، قلما يرى فى حفل ، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٥٤م. انظر : الأعلام ٦/ ٣٢٩ مصدر سابق.

(٢) عضو مجمع البحوث الإسلامية ، وأستاذ الباحث فى مادة الفقه المقارن بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة – أطال الله عمره .

(٣) الدكتور محمد رجب البيومي، رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق ، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة سابقاً، والأستاذ المتفرغ بقسم الآداب والنقد بجامعة الأزهر. ولد عام ١٩٢٣ في الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة

دراسة العلامة محمد فريد وجدى بتاريخ ٩/١١/ ٢٠٠٢م ، قُدِّم هو الآخر إلى مجلس المجمع .

- ومع صدور طبعة جديدة لهذا الكتاب سنة ٢٠١٢م ، ومع تجدد الاعتراضات على ما جاء بالكتاب من سلبيات شابت ما جاء به من إيجابيات .. رأى مجمع البحوث الإسلامية إعادة طبع الدراسة النقدية التى سبق ونشرتها مجلة الأزهر – للعلامة محمد فريد وجدى[1] – كاملة – مرة أخرى .

وذلك تعبيرا عن الموقف المتوازن من إيجابيات النظرات الغربية المنصفة لحضارتنا ، دون إغفال النقد والتفنيد لما في هذه الدراسات الغربية من سلبيات . (٢).

هذا هو رأى الأزهر الشريف حول كتب المستشرقين ، التى وقع فيها الصواب والخطأ ، حيث رأى علماؤه ذكر الإيجابيات مع عدم إغفال السلبيات ، استنادا إلى قاعدة العدل التى أمرنا بها ديننا الحنيف .

تعقيب عام :

وعطفا على جميع ما سبق ، فإن الباحث يؤكد على أن المستشرقين ما كانوا على رأى واحد ، وتفسير واحد ، وفهم واحد ، وبيئة علمية واحدة ، ونمط واحد فى تحليلهم لأحداث التاريخ الإسلامى ، والدين الإسلامى على وجه العموم ، فآراؤهم متباينة ، وأقوالهم بينها اختلاف ، ومنهم من انتقد البعض الآخر بانتقادات لاذعة ، فمن الصعب جدا جمع المستشرقين تحت راية واحدة ، وتصنيفهم بتصنيف واحد ، وتتويجهم بتاج واحد ، وإلباسهم ثوبا واحدا ، وإلا كان ذلك فيه خيانة للمنهجية العلمية ، وكان هضما لأعمالهم الإيجابية ، وعدم إدراك كامل وإلمام تام

بمحافظة الدقهلية بمصر. توفي يوم السبت سنة ٢٠١١م ، وتم دفنه عصرا في قريته الكفر الجديد مركز المنزلة محافظة الدقهلية. انظر : مجلة الوعى الإسلامى ، عدد ٥٤٨ ، شهر ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ – مارس – أبريل سنة ٢٠١١م ، ص ١١ .

(١) سبق ترجمته .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٣– ١٤ .

بالتراث الاستشراقى الذى لا يزال يجرى نهره مطردا بيننا حتى زماننا هذا .

فكان لزاما على الباحثين أن يعتقوا رقابهم من التبعية العمياء فى إصدار الأحكام جزافا على أحد المستشرقين إلا بعد القيام بدراسة تراثه دراسة وافية ، سواء ما كتب منه بلغته الأصلية أو ما تُرجم إلي لغتنا، وسواء منه ما سطّره فى كتبه أو ما نشره فى المجلات الاستشراقية المتعددة ، فحينذاك يحق له الحكم ، ويصح منه القول .

والسؤال الذى يراودنى كثيرا :

لِمَ نضع رؤوسنا فى الرمال ؟ والقاصى والدانى من الباحثين يدركون القيمة العلمية الحقيقية الكبيرة لكتاب مثل تاريخ الأدب العربى لنيكلسون (١) ، أو كتاب فنسنك (٢) فى الحديث ، أو كتاب تاريخ الآداب العربية للأستاذ/ بروكلمان (٣)، أو كتاب أرنولد (٤) عن الدعوة إلى الإسلام ، أو كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد (٥)، أو الأبطال (١)، أو حضارة العرب لغوستاف لوبون (٢)، أو فضل الإسلام

---

(١) رينولد أرين نيكلسون تخرج من كلية ترينيتى – كمبريدج – حيث برز فى الأدب القديم ، وخلف براون كمحاضر للفارسية فى كمبريدج (١٩٠٢م) من آثاره : منتخبات من ديون شمس تبريز لجلال الدين الرومى ، نظمها شعرا انجليزيا ، ودراسة عن رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، الأدب العربى فى ضوء التاريخ السياسى والعمرانى للعرب والإسلام ، والتصوف الإسلامى ، وعُد به حجة فى التصوف الإسلامى ، وقد نقله إلى العربية د/ أبو العلا عفيفى ، توفى سنة ١٩٤٥ م . انظر : العقيقى ، المستشرقون ٢/ ٥٢٥ – ٥٢٧ ، مصدر سابق .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) توماس ووكر مستشرق انجليزى متعاطف مع الإسلام ، ولد فى انجلترة فى ١٩ أبريل سنة ١٨٦٤م ، ونظرا لاهتمامه بالدراسات الإسلامية فقد اختير لتدريس الفلسفة فى كلية عليكرة الإسلامية فى المقاطعات المتحدة بشمالى الهند ، وأمضى فى كلية عليكرة عشر سنوات ، وفى أوائل سنة ١٩٣٠ م دعته الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) أستاذا زائرا ، وبعد أن أمضى النصف الثانى من العام الجامعى ١٩٢٩ –١٩٣٠فى التدريس بقسم التاريخ عاد إلى لندن ، وما لبث أن توفى ، من مؤلفاته (الدعوة الإسلامية) و(المعتزلة) و (الخلافة) ، وكتب عدة مقالات تتعلق بالهند الإسلامية فى (دائرة المعارف الإسلامية) انظر : د/ عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ص ٩ ، ١٠.

(٥) اسم مؤلفه : مايكل هارت .

على الحضارة الغربية لمونتجومرى وات [٣]، أو شمس العرب تسطع على الغرب للفاضلة زيغريد هونكة [٤] ، أو الله ليس كذلك لنفس المؤلفة أيضا ، أو دائرة المعارف الإسلامية التى باتت – على ما بها من أخطاء – مصدرا أصيلا للباحثين ، أو كتاب فيليب حِتِّى [٥] عن تاريخ العرب والإسلام [٦]، أو كتاب إنسانية الإسلام للدكتور مارسيل بوازار [٧]، أو كتاب (دفاع عن الإسلام) للفاضلة الإيطالية لورا فيشيا فاغيرى [٨]، أو كتاب (الإسلام ذلك المجهول فى الغرب) للفاضلة الإيطالية رينا دى ميليو [٩] ، أو كتب الفاضلة أنَّا شيمل [١٠]، فلا ريب أن كتابها الرائع (الإسلام دين الإنسانية) ، هو بحث موضوعى منهجى عن الإسلام وحضارته .

ومن نافلة القول التأكيد على أن (أنا مارى شيمل نالت جائزة السلام عن

---

(١) اسم مؤلفه : توماس كارلايل .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) سبق ترجمتها .

(٥) الدكتور / فيليب حتى ، لبنانى الأصل ، أمريكى الجنسية ، تخرج من الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩١٥م ، وكان أستاذا مساعدا للآداب السامية فى جامعة برنستون ، حتى وصل إلى أستاذ كرسى اللغات الشرقية سنة ١٩٤٤م ، ورئيسا لقسم اللغات والآداب الشرقية (١٩٤٤- ١٩٥٤م) حين أحيل إلى التقاعد ، ومن آثاره : أصول الدولة الإسلامية ، والسوريون فى أمريكا ، وتاريخ العرب ، وأصول الشعب الدرزى وديانته ، وتاريخ لبنان وسوريا وفلسطين . انظر :العقيقى ، المستشرقون ٢/ ١٠١٠ ، ١١١١ ، مصدر سابق .

(٦) ذكر الدكتور / شوقى خليل ، حسنات الكتاب وهفواته فى كتابه القيم : موضوعية فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب المطول ، دار الفكر ، سوريا – دمشق ط١ سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

(٧) أستاذ جامعة سويسرى .

(٨) مستشرقة إيطالية توفيت سنة ١٩٨٩ م ، والكتاب صدر باللغة الإيطالية ثم ترجم إلى الانجليزية .

(٩)أستاذة لدراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بجامعة روما ، كما عملت لفترة طويلة خبيرة في الشؤون الإسلامية بوزارة الخارجية الإيطالية.

(١٠) سبق ترجمتها .

دور النشر الألمانية ، وقد تسلَّمتها من الرئيس الألمانى السابق رومان هرتسوج في ١٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ، كما كرَّمتها جمهورية مصر العربية ووزارة الأوقاف المصرية عن مؤلفاتها الموضوعية عن الإسلام والحضارة الإسلامية). [١]

هذا فضلا عن كتب المهتدين منهم إلى الإسلام أمثال : مراد هوفمان [٢] ، أو دينيه [٣]، أو روجيه جارودى [٤] ، أو رينيه جينو[٥] (الذى قام بنقد كثير من

---

(١) أنا مارى شيمل ، الإسلام دين الإنسانية ص ١٧ ، المجلس الأعلى للشئون الإنسانية ، عدد جمادى الأولى ١٤٢٨هـ- مايو ٢٠٠٧ م .

(٢) دكتور فى القانون من جامعة هارفارد ، وسفير ألمانية فى المغرب ، من مؤلفاته (يوميات مسلم ألمانى – الإسلام عام ألفين – الطريق إلى مكة ، الإسلام كبديل الذى أحدث ضجة كبيرة فى ألمانية . قبل إسلامه تعرض لحادث مرور مروع فقال له الجراح بعد إسعافه : (إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه فى الواقع أحد ، وإن الله يدخر لك يا عزيزى شيئا خاصا جدا) ، ولما أشهر إسلامه حاربته الصحف الألمانية محاربة ضارية ، وحتى أمه لما أرسل إليها رسالة أشاحت عنها وقالت : (ليبق عند العرب) . انظر: د / عبد المعطى الدالانى ، ربحت محمدا ولم أخسر المسيح ص ٣٧ ، ٣٨ ، مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع ، سورية – دمشق ، بدون رقم طبعة وتاريخ .

(٣) تعلم فى فرنسا ، وقصد الجزائر فكان يقضى فى بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام ، وابتنى بها قبرا ، وأشهر إسلامه سنة ١٩٢٧م ، وتسمى بناصر الدين ، صنف بمعاونة سليمان بن إبراهيم : محمد فى السيرة النبوية ، نشر بالانجليزية والفرنسية ،و ترجمه إلى اللغة العربية الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحليم محمود – رحمه الله ، والأستاذ/ محمد عبد الحليم محمود ، وله بالفرنسية : حياة العرب ، وحياة الصحابة ، وأشعة من نور الإسلام (نقله إلى العربية الأستاذ/ راشد رستم) ، توفى ١٩٢٩ م . انظر : العقيقى ، المستشرقون ، ١/ ٢٣٥ ، مصدر سابق .

(٤) واسمه بعد الإسلام : رجاء جارودى ، مفكر فرنسى كان زعيم الحزب الشيوعي، بل مرشحه لمنصب رئيس الجمهورية ، وأسلم سنة ١٩٨٢م ، وتوفى سنة ٢٠١٢م ، قال الشيخ أحمد حسن الباقورى : (حياته حافلة بجلائل الأعمال التي لا ينهض بها إلا أصحاب العزائم ، ولا يصبر على لأوائها إلا أحرار العقول، الذين يؤثرون شرف العدل والإنصاف على خسة الجور والميل والاعتساف) . انظر: أ / أمينة الصاوي، د / عبد العزيز شرف، رجاء جارودي وحضارة الإسلام، صفحة : ب ، مكتبة مصر، الفجالة ، بدون ذكر رقم الطبعة والتاريخ ، وانظر : بحثنا عنه بعنوان : جهود روجيه جارودى فى ميزان الإسلام ، سنة ٢٠١٣ ، بحث غير منشور .

(٥) مفكر فرنسى من أسرة كاثوليكية ، ولد سنة ١٨٨٦ م ، واعتنق الإسلام سنة ١٩١٢م ، وتسمى عبد الواحد يحيى ، وكان اعتناقه الإسلام بواسطة الشيخ / عليش الكبير ، شيخ فرع من الطريق الشاذلية ، وكان في الوقت نفسه شيخ المذهب المالكى بالأزهر ، توفى رينيه جينو بالقاهرة سنة ١٩٥١م. انظر الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور / عبد الحليم محمود ، الفيلسوف المسلم عبد الواحد يحيى (رينيه جينو) ص ١٣- ٢٤ ، مكتبة الإيمان ،

شبه المتخرصين ودعاوى المبطلين كالذين يرجعون انتشار الإسلام إلى السيف ، وبيّن بقوة الدليل أن ذلك هراء.

كما بيّن زيف ما يدعيه بعض المستشرقين من مادية الإسلام وخلوه من التجليات والأشواق الروحية) .[١]

أو الأستاذ موريس بوكاى [٢]، وكتابه : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، أو الأستاذ ليوبولد فايس/ محمد أسد [٣]الذي قال عنه الإمام أبو الحسن الندوي [٤]: (ولا نجد كاتبا أوربيا تحدث عن نقاط الافتراق والاختلاف فيما بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في هذا الوضوح والتفصيل والدقة ، وتناول الحضارة الغربية بهذا النقد اللاذع المر المدعم بالدلائل والوثائق) [٥] .

أو الفاضلة : مريم الجميلة (٦) (التي تتأسس كتاباتها على دراسة عميقة لتاريخ الحضارة الغربية وانطلاق وتحرر كامل عنها بل وثورة شاملة عليها) . (٧)

ولو أخذنا نحصى ذلك لطال بنا المقام ، واتسع المجال، ونفذت الصفحات ، وفنيت الأعمار .ألا تتطلب المعرفة بهذه الكتب وقراءتها والاطلاع عليها – مع

بدون رقم طبعة وتاريخ .

(١) الإمام الأكبر الدكتور / عبد الحليم محمود ، الفيلسوف المسلم عبد الواحد يحيى (رينيه جينو) ص ٤ .

(٢) طبيب فرنسى توفى سنة ١٩٩٨م ، نشأ مسيحيا كاثوليكيا، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية ، وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب التوراة والأناجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث . انظر: ويكيبديا الموسوعة الحرة ، تاريخ الزيارة ٣٠ /١٠ / ٢٠١٥م .

(٣)سبق التعريف به .

(٤)سبق التعريف به .

(٥)أبو الحسن على الحسنى الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ص ٤٠ ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

(٦) سبق التعريف بها .

(٧)الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ص ٤٢ .

الأخذ فى الاعتبار بما قد يوجد فى بعضها من تجاوزات – الجزم بأن المستشرقين لا يسع منصف أن يصنفهم تصنيفا واحدا ، وألاَّ يحكم عليهم بحكم واحد ، وأن يستثنىَ وجوبا ، وأن يُخرج طائفة منهم من التعميم كانوا على درب من الإنصاف ، وأن يذكر طائفة ثالثة منهم يوجد فى بعض كتبهم الإنصاف وفى بعضها الإجحاف ، بل يوجد فى الكتاب الواحد كلا الأمرين .

فلِمَ ننظر دائما بعين الشك والريبة على تراث المستشرقين؟ لمَ نلبس نظارة سوداء دائما؟ لمَ ننظر إلى الجانب السلبى فحسب؟، وليَ أن أسأل : ألا يوجد باحث قد نقل عنهم، ألا توجد مفاخر لبعضهم؟ ألا نشعر أحيانا بتفوقهم علينا فى جمع المادة العلمية وتنسيقها وتصنيفها وتبويبها ؟؟.

ألا يوجد كتاب منصف ، ولا مستشرق موضوعى ؟ ولا محمدة لأحدهم ؟ ولا كتاب تراثى أخرجوه لنا من الظلمات ؟ نبّئونى بعلم إن كنتم صادقين !!! .

لكن على الرغم من ذلك يرى الباحث أنه لابد من أن نضع بين أيدينا الحقائق الآتية :

١– أن أعداد الفئة المنصفة ضئيلة جدا بالنسبة للأعداد الغفيرة من المستشرقين المتعصبين، ويعزو أحد المهتدين إلى الإسلام د/ مراد هوفمان[(١)] بعض الأسباب وراء قلة الموضوعيين من المستشرقين قائلا : (تشهد سوق الكتب (في الغرب) سيلا متدفقا من المنشورات والمؤلفات عن الإسلام ، وذلك منذ النكبات الأخيرة المحزنة ، التى امتحن بها العالم الإسلامى .

على أن النظرة الثاقبة الممحصة ، تتبين قلة المؤلفين الموضوعيين الأكفاء ، الحريصين على توصيل الخلفية الفكرية والروحية للإسلام ، بوصفه ظاهرة حضارية فذة ، ويقنع بعض القراء بالتحليلات السطحية السياسية والاجتماعية ، يدفعهم إلى ذلك الخوف مما يتصورونهم أصوليين

---

(١) سبق ترجمته .

متطرفين متزمتين ، والخوف مما يعتبرونه بالحرب المقدسة) .(١)
فبعضهم يخاف على نفسه من أن تلحقه معرة أنه أصولى أو متطرف ، وهذا ما يحمله على الطعن فى الإسلام .

٢- ليست الموضوعية والإنصاف والثناء على الإسلام ونبيه وحضارته وتراثه ، بالأمر اليسير السهل على المستشرقين ، كما يظن بعض الباحثين ، يقول آربرى [٢]: (قبل أن يتيسر إقرار الحق عن الشرق وشعوبه فى الضمير المشترك للغرب ، ينبغى إزالة حشد هائل من الباطل وسوء الفهم والأكاذيب المتعمدة . وإنه لجزء من واجب المستشرق ذى الضمير الحى القيام بهذه الإزالة ، لكن لا تدعه يحسب أن هذه المهمة سهلة أو أنه خصوصا سيلقى عنها الجزاء) . [٣]

٣-على أنَّ هؤلاء المنصفين (لا يوجدون إلاَّ حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأنَّ أبحاثهم المُجَرَّدة عن الهوى، لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تَدُرُّ عليهم ربحاً ولا مالاً؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المُسْتَشْرِقِينَ) .[٤]

٤-كتابات المنصفين (ظلت محصورة فى نطاق ضيق ، وظلت قوى كثيرة تحجبها ، وجاء دعاة التغريب فى بلادنا ليسخروا منها ومن قائليها خوفا من أن تصل إلى قلوب مشوقة متطلعة إلى نور الحق) .[٥]

٥-الفئة المنصفة (ما تزال ضعيفة الصوت أمام التيار العام للغربيين تجاه

---

(١) د/ مراد هوفمان ، الإسلام كبديل ص ١٩، مكتبة العبيكان ط٢ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) د/ عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ص٦ ، مصدر سابق.

(٤) د/ محمود حمدى زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب ص ٢٤ مكتبة وهبة ط١ سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٥) مجلة الأزهر ، عدد ربيع الأول سنة ١٤٣٧هـ – ديسمبر / يناير ٢٠١٦م ، ص ٦٣٤ .

الإسلام ورسول الإسلام ، لا سيما وأننا نجد رغم وجود هؤلاء المنصفين تلك الرسومات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا الشعور المعادى المتنامى تجاه المسلمين فى الغرب) .[١]

٦-لكن على كل حال لم تعُدْ – فيما يحسب الباحث – أبحاث المستشرقين المعاصرين وكتاباتهم فى الطعن على الإسلام والتعصب ضد ثقافته وحضارته ، كمثل أبحاث المستشرقين المتقدمين الذين كانوا يتنفسون التعصب ويتغذوْن بالتضليل باسم العلم .

الخاتمة

بعد هذا الطواف فى موضوع البحث (حاجتنا إلى الموضوعية فى الحكم على تيار الاستشراق) يخلص الباحث إلى عدة نتائج مهمة ، يلخصها ما يلى :

١- ليس المستشرقون صنفا واحدا ولا مدرسة واحدة ولا نمطا واحدا متسقا، ولكن هناك أصناف ومدارس متنوعة للمستشرقين ، واختلفوا فيما كتبوا عن الدين الإسلامى وحضارته في وسائلهم وفى دوافعهم وأهدافهم ، وكان لكل منهم منزع ، ولذا : لا يصح الحكم علي كافة المستشرقين بحكم واحد جامع .

٢- الطريقة المُثلى في دراسة الاستشراق بتياراته المختلفة، ومدارسه المتنوعة : أن لا يُدرس كتيار عام أو ظاهرة عدائية ، بل أن يُدرس المستشرقون على أساس الأفراد والشخصيات ، على أن تكون هذه الدراسة مبنية على ما كتب هذا المستشرق أولا ، وعلى الوثائق الأصلية التى توضح وجهة نظره ، وعندها يصح الحكم الموضوعى عليه.

٣- أشار البحث إلى أن صنفا من الباحثين المسلمين ، قاموا برفض أعمال المستشرقين كافة ، وهذا الصنف : إنما نظر إلى أهدافهم السيئة في

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى ، ص ٣٠ ، العدد ٥٤٦ صفر ١٤٣٢هـ- يناير ٢٠١١م .

محاربة الإسلام ، ونواياهم الخبيثة التى تظهر في البحث والتصنيف ، نظر إلى السم الزعاف في مصنفاتهم وأبحاثهم ، وخدمتهم لأهداف الصهيونية والتنصير والاستعمار.

٤- وضّح البحث بالأدلة والشواهد وجود فئة من الباحثين المسلمين جعلوا المستشرقين قبلتهم فى أبحاثهم ويمّموا نحوهم فى كل آرائهم وأقوالهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع .

٥- يوجد قطاع عريض من الباحثين المسلمين يمثّلون أفضل المواقف من الاستشراق وهو التيار الموضوعى الذى لم يقم بتعميم الأحكام، وإنما كان شأنه استعمال ألفاظ (بعض– نفر منهم – قليل منهم – الكثير – الغالب) إلخ، وقد ضرب البحث أمثلة بأسماء بعض هؤلاء .

٦- في المستشرقين عقلاء ومنصفون لكن نسبتهم قليلة بالنسبة للأعداد الغفيرة والكثرة الكاثرة من المتعصبين ، كذلك هم ضعيفو الصوت والكلمة فى بلدانهم ، بدليل أن الهجمات المسيئة للرسول – صلى الله عليه وسلم –لا تزال مستمرة حتى عصرنا الحاضر .

٧- التعميم بالأحكام من غير قيود لا يوافق عليه بعض المستشرقين أنفسهم ، وهم مقرون بأن من بينهم من افترى على الإسلام كذبا وزورا ، وأنهم معروفون فى أوساطهم العلمية ، كما أنهم معروفون لدينا .

٨- من المستشرقين من كان واقعيا فأقر بوجود الأخطاء فى كتاباتهم ، بل منهم من انتقد البعض الآخر دون شعور بالحرج ، وهذا أو ذاك يدل على وجود المكاشفة والمصارحة فى بعض جوانب التراث الاستشراقى .

٩- أومأ البحث إلى أنه من الإنصاف أن نقرر أن المستشرقين كان لهم فضل السبق فى نشر تراثنا العربى ، منذ القرن الماضى ، وأنهم أول من نبَّهنا إلى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا ، وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها ، وهذا الجانب لا يجب أن نغضَّ الطرْف عنه أو نتخذَه هزوا.

١٠-لا بد من أن نكون موضوعيين فى بناء رأينا حول الاستشراق وذلك لأسباب عديدة منها : أنه ضرورة شرعية ، وأن هذا هو ما يفرضه الواقع والحاجة من إيجاد جسور لربط أواصر الغرب بالشرق ، وليكون سبيلا لنا في إقناع بعض الفئات المستنيرة بديننا من خلال ما كتب بعض المستشرقين المنصفين ، ولا شك أن التأثير سيكون أكبر ، والحجة أقوى ، والفائدة أرجى وأجدى .

١١-يقف الأزهر ومجلة الأزهر دائما موقف الشرع والعقل من أعمال المستشرقين ، حيث يتم الثناء على الإيجابيات ، ونقد السلبيات ، فلا يُنتقص من أعمالهم الموضوعية من أجل زلاّت لبعضهم ، وإنما يُذكر هذا ويُنوّه على هذا .

توصيات البحث :

١-الجدِّيةُ فى دراسة الظاهرة الاستشراقية، وعدم الاكتفاء بقراءة القشور وبناء رأى علمى عليها.

٢-مساندةُ أصحاب الموضوعية والمنصفين من المستشرقين ، وكذا المهتدين منهم ، وذكر محاسنهم وحسناتهم ، وطبع ذلك فى كتب أو كتيبات بلغات مختلفة .

٣- حثُّ الباحثين من المسلمين أثناء كتاباتهم أو حديثهم عن الاستشراق إلى استعمال مفردات (معظم المستشرقين – كثير من المستشرقين – بعض المستشرقين – قلة من المستشرقين – فئات من المستشرقين – الطابع العام لمدرسة كذا من الاستشراق) ، وهكذا للخروج من تعميم الأحكام التى وقع فيها – مع بالغ الأسف– كثير من الباحثين .

هذا والحمد لله رب العالمين

وكتبه د/ عبد الحافظ أحمد طه



المصادر والمراجع [1]

•كتاب الله الخالد .

- أبو الحسن الندوى ، الإمام ، حديث مع الغرب ، الناشر : المختار الإسلامى بدون رقم طبعة تاريخ.
- أبو الحسن الندوى ، الإمام / الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ، دار القلم – الكويت ط ١ سنة ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م .
- أبو الحسن على الحسنى الندوي، الإمام / الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .
- أحمد فارس بن يوسف الشدياق ، الأستاذ/ الساق على الساق في ما هو الفارياق ، الكتاب الرابع ، موضوع / ذنب للكتاب و قد جعله لأغلاط الرؤوس والأساتيذ مدرّسى اللغات العربية في مدارس باريس، ط باريس سنة ١٢٧٠هـ –١٨٥٥م .
- أحمد العلاونة ، الأستاذ / ذيل الأعلام ، دار المنارة ، جدة – السعودية ، ط١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- أحمد عبد الحليم عطية ، الدكتور / الصوت والصدى ، الأصول الاستشراقية فى فلسفة بدوى الاستشراقية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ .
- أحمد عبد الرحيم السايح ، الدكتور / الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامى ، الدرار المصرية اللبنانية ط ١ سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
- إسماعيل أحمد عمايرة ،الدكتور / الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية ، دار حزين – عمان ط ٢ سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

---

(١) جعلت الألقاب متأخرة حتى يسهل ترتيب الأسماء ترتيبا دقيقا – بفضل الله – على حسب حروف الهجاء .

- آصف حسين ، الأستاذ / صراغ الغرب مع الإسلام – استعراض للعداء التقليدى للإسلام في الغرب ، ترجمة : د/ مازن مطبقانى ، دار الوعى للنشر والتوزيع ط١ سنة ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م .
- أنا مارى شيمل ، الأستاذة / الإسلام دين الإنسانية ، المجلس الأعلى للشئون الإنسانية عدد جمادى الأولى ١٤٢٨هـ– مايو ٢٠٠٧ م .
- أنور الجندى، الأستاذ/ معلمة الإسلام ، دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٤١١هـ– ١٩٩١ م ، بدون رقم طبعة .
- ت . أ . لورانس ، الأستاذ / أعمدة الحكمة السبعة ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت ط ١ سنة ١٩٦٣م .
- خالد إبراهيم المحجوبى ،الأستاذ / الاستشراق والإسلام مطارحات نقدية للطروح الاستشراقية ، أكاديمية الفكر الجماهيرى – بنغازى – ليبيا سنة ٢٠١٠م ، بدون رقم طبعة .
- خير الدين الزركلى ، الأستاذ / الأعلام ، ، دار العلم بيروت – لبنان ط ١٥ سنة ٢٠٠٢م.
- خيرى منصور ، الأستاذ / الاستشراق والوعى السالب، مكتبة مدبولى ، ط ٢ سنة ٢٠٠٥م .
- ر.ف. بودلى ، الأستاذ / الرسول ، حياة محمد ، ترجمة : عبد الحميد جودة السحار – محمد محمد فرج ، دار الكتاب العربى بمصر بدون رقم طبعة وتاريخ .
- رءوف شلبى ، الدكتور / السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ، دار القلم – الكويت ط ٤ سنة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.
- رءوف شلبى ، الدكتور/ جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن ، دار الطباعة المحمدية ط١ سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- زكريا هاشم زكريا ، الأستاذ /المستشرقون والإسلام ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الكتاب العشرون سنة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥ م .

- زيغريد هونكه ، الأستاذة / شمس العرب تسطع على الغرب ، دار الجيل – بيروت ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، نقله عن الألمانية : فاروق بيضون – كمال دسوقى ط ٨ سنة ١٤١٣هـ - –١٩٩٣م .
- زيغريد هونكه ، الأستاذة / الله ليس كذلك ، دار الشروق ط ٢ سنة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.
- ساسى سالم الحاج ، الدكتور/ نقد الخطاب الاستشراقى – الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، دار المدار الإسلامى – بيروت – لبنان ط ١سنة ٢٠٠٢م.
- سعيد اللاوندى ، الدكتور / د / عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام ، ط مركز الحضارة العربية – القاهرة ط ١ سنة ٢٠٠١م.
- صلاح الدين المنجد ، الدكتور / المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٨م .
- صلاح الدين المنجد ، الدكتور / قواعد تحقيق المخطوطات ، دار الكتاب الجديد ، بيروت –لبنان ط٧ سنة ١٩٨٧م.
- صلاح الدين المنجد ، الدكتور/ المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٨م .
- طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ، الدكتور/ لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، مطبعة فاروق(محمد عبد الرحمن محمد) ط٣ ، سنة ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣ م .
- عادل سليمان جمال ، الدكتور / جمهرة مقالات الأستاذ / محمود شاكر ، مكتبة الخانجى – القاهرة بدون رقم طبعة وتاريخ
- عبد الخالق سيد أبو رابية ، الأستاذ / في جولة مع المستشرقين، ، المجلس

الأعلى للشؤن الإسلامية - العدد ١٧٩، سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م.

- عبد الرحمن بدوى ، الدكتور / التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية – دراسات لكبار المستشرقين ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٠ م .
- عبد الرحمن بدوى ، الدكتور/ موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين بيروت ط ٣ سنة ١٩٩٣م .
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، الدكتور/ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، دار القلم – دمشق ط٨ سنة ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.
- عبد العظيم الديب ، الدكتور / المستشرقون والتراث ، دار الوفاء – المنصورة ط٣ سنة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .
- عبد العظيم الطيباوى ، الدكتور / المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية دراسة نقدية ، ترجمة وتعليق د/ قاسم السامرائى ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمى ، سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- عبد المتعال محمد الجبرى ، الدكتور/ الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى ، مكتبة وهبة ط ١سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .
- على إبراهيم النملة ، الدكتور / إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربى الإسلامى دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ط١ سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- على إبراهيم النملة ، الدكتور / المستشرقون والتنصير ، بدون بيانات .
- على إبراهيم النملة ، الدكتور / نقد العقل المعاصر ، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق فيها ، دار الفكر – دمشق ط ١ سنة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .
- على إبراهيم النملة ، الدكتور/ مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض - السلسلة الثانية عشرة سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- على حسنى الخربوطلى ، الدكتور/ المستشرقون والتاريخ الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م .
- قاسم السامرائى ، الدكتور / الاستشراق بين الموضوعية و الافتعالية ، دار الرفاعى للنشر ط١ سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
- مالك بن نبى ، الأستاذ / الظاهرة القرآنية ، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان . دار الفكر – دمشق – سورية ط ٤ سنة ١٩٨٧ م – إعادة سنة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م ، ترجمة د/ عبد الصبور شاهين .
- مالك بن نبى ، الأستاذ / إنتاجُ المستشرقينْ وأَثَره في الفِكر الإسلاميّ الحَدِيث ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .
- مجلة اللواء الإسلامى .
- محمد إبراهيم الفيومى ،الدكتور / الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .
- محمد أبو شهبة ، الدكتور / دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين ، مكتبة السنة ط١ سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- محمد البهى ، الدكتور /الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة ، مكتبة وهبة ط١ سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- محمد البهى ، الدكتور/ المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، الناشر: مطبعة الأزهر بدون رقم طبعة وتاريخ.
- محمد الغزالى ، الإمام / دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، طبعة نهضة مصر ط ٧ سنة ٢٠٠٥ م .
- محمد المجذوب ، الأستاذ /علماء ومفكرون عرفتهم ، دار الشواف ط٤ سنة ١٩٩٢م.
- محمد خليفة حسن ، الدكتور /آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية ، دار عين للدراسات والبحوث النفسية والاجتماعية ط ١ سنة

١٩٩٧م .

- محمد عبد الرحيم الزينى ، الدكتور / الاستشراق اليهودى رؤية موضوعية ، دار اليقين – المنصورة – مصر ط١ سنة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م .
- محمد عبد الغنى حسن ، الأستاذ / تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦م .
- محمد عبد الله الشرقاوى ، الدكتور / في الفكر الإسلامى المعاصر – الاستشراق دراسات تحليلية تقويمية ، والكتاب بدون أى بيانات .
- محمد فاروق النبهان ، الدكتور / الاستشراق ، تعريفه ، مدارسه ، آثاره ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . ايسيسكو ، الرباط – المملكة المغربية ، سنة ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
- محمد فريد وجدى ، الأستاذ / في الرد على الماديين – دراسة نقدية لكتاب (حضارة العرب) للدكتور جوستاف لوبون ، تقديم وتذييل د / محمد عمارة ، هدية مجلة الأزهر الشريف جمادى الأولى سنة ١٤٣٤هـ – مارس ٢٠١٣م .
- محمد مصطفى هدارة ، الدكتور / موقف مرجليوث من الشعر العربى ، ، بحث فى كتاب / مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مكتب التربية العربى لدول الخليج ، بدون بيانات أخرى .
- محمود حمدى زقزوق ، الدكتور / هموم الأمة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١م
- محمود حمدى زقزوق ،الدكتور / الإسلام في تصورات الغرب ، مكتبة وهبة ط١ سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- محمود شاكر ، الأستاذ/ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٧م.
- محمود محمد الطناحى ، الدكتور / مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى

مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، مكتبة الخانجى بالقاهرة ط١ سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
• مصطفى السباعى ، الدكتور / السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ، المكتب الإسلامى – بيروت ط ٢ سنة ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م.
• مصطفى السباعى ، الدكتور / الاستشراق والمستشرقون ، دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي ، بدون رقم طبعة وتاريخ .
• مصطفى الشكعة ، الدكتور / مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية – الجزء الثانى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مكتب التربية العربى لدول الخليج ،بدون بيانات أخرى .
• منذر معاليقى ، الدكتور / الاستشراق في الميزان ، ط المكتب الإسلامى – بيروت ط ١ سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
• منير البعلبكى ، الأستاذ / معجم أعلام المورد ، إعداد الدكتور / رمزى البعلبكى ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط١ سنة ١٩٩٢م .
• موقع ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .
• مونتجمرى وات، الأستاذ / الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨.
• نجيب العقيقى ، الأستاذ/ المستشرقون ، دار المعارف بمصر ، ط سنة ١٩٦٤م .
• يحيى مراد ، الدكتور / معجم المستشرقين ، بدون بيانات .

هذا بخلاف المصادر والمراجع المبثوثة فى ثنايا البحث

فهرس الموضوعات

مقدمة.. ٣
المبحث الأول.. ٩
مواقف العلماء والباحثين العرب من الاستشراق.............................. ٩
المطلب الأول : القبول المطلق:.............................. ٩
نماذج من الباحثين المسلمين المتعصبين لآراء المستشرقين:.................. ١٧
المطلب الثانى : الموقف الرافض :.............................. ٢٥
العلاقة بين الاستشراق والتبشير :.............................. ٣١
نماذج من المستشرقين الذين خدموا الاستعمار :.............................. ٣٧
المطلب الثالث : التيار الموضوعى:.............................. ٤٢
المبحث الثانى.. ٥١
أسباب صحة القول بالموضوعية في نقد الاستشراق.............................. ٥١
تعريف الموضوعية:.............................. ٥١
المطلب الأول.. ٥٣
ضـرورة شـرعيـة.. ٥٣
المطلب الثانى.. ٥٦
إقرار بعض المستشرقين بالأخطاء العلمية والمنهجية في كتاباتهم.............. ٥٦
المستشرقون ينبذون فكرة التعميم بالخطأ :.............................. ٦٠
المطلب الثالث.. ٦٢
النقد الذاتى للاستشراق.. ٦٢
المطلب الرابع.. ٧٠
إيجابيات المستشرقين.. ٧٠
ملاحظات حول نشر المستشرقين لكتب التراث وتحقيق المخطوطات :.. ٧٤

المطلب الخامس.. ٧٩
خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التفاهم بين الغرب والشرق ٧٩
المطلب السادس.. ٨٢
اختلاف أصنافهم ومدارسهم وأيديولوجياتهم.......................... ٨٢
الميول الإنسانية لدى المستشرقين ٨٣
المطلب السابع.. ٨٨
لأنه رأى أكبر مؤسسة دينية في العالم الإسلامى (الأزهر الشريف)....... ٨٨
تعقيب عام :.. ٩٠
الخاتمة.. ٩٧
توصيات البحث :.. ٩٩
المصادر والمراجع ١٠١
فهرس الموضوعات..١٠٨